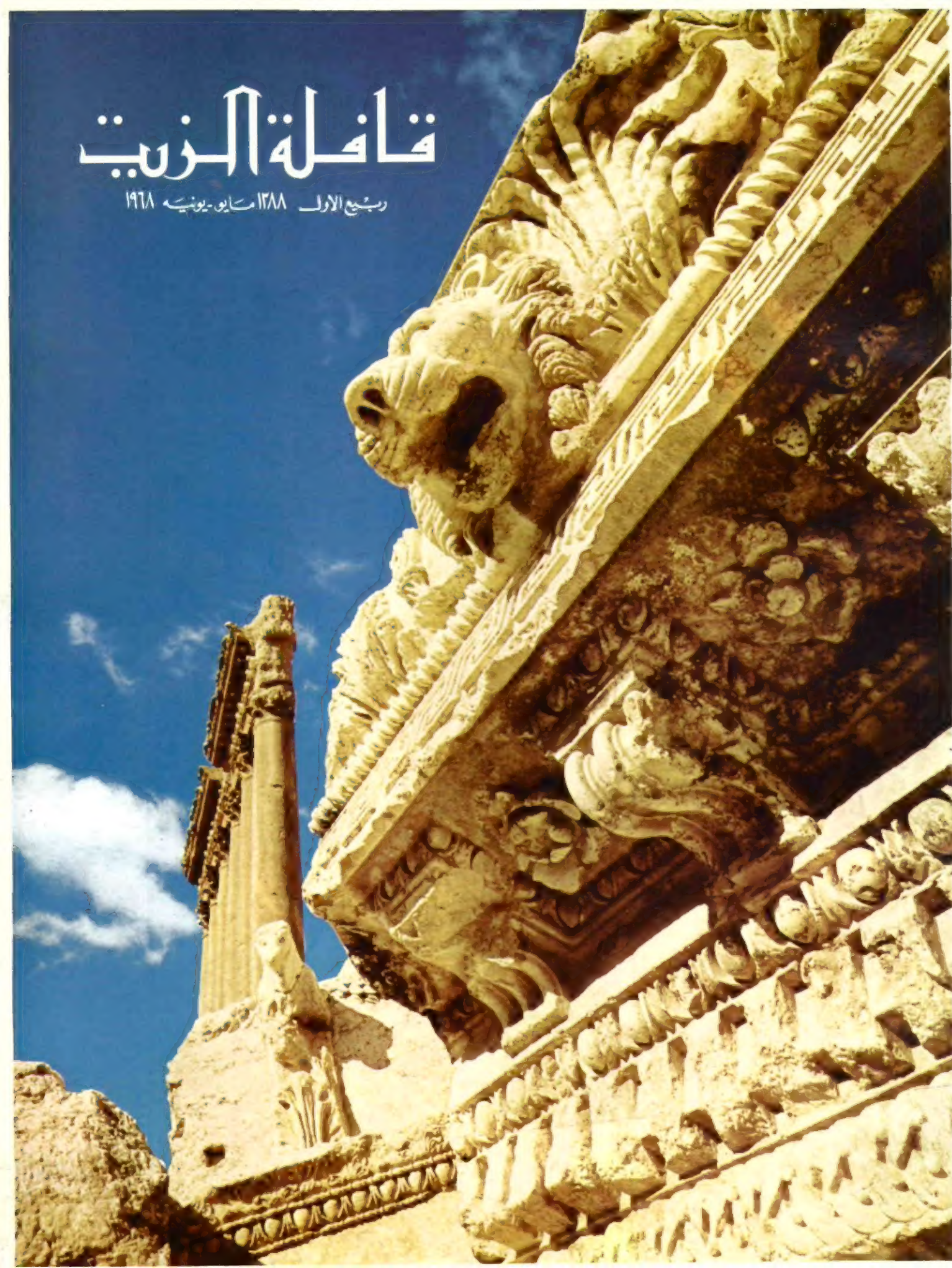


خافضة الزيت

ربيع الاول ١٣٨٨ م - ايو - يونيه ١٩٦٨



لغة اليوم والغد فؤاد الرئيس ٢

آداب

- وحدة البيت ووحدة القصيدة في الشعر العربي محمود الشرقاوي ٧
- الطائف (قصيدة) أنور العطار ٢٠
- بناء الفكر العربي المعاصر من خلال أعمال الموسوعيين العرب أنور الجندي ٣١
- بين التقليد والتجديد (قصيدة) السيد حسن السيد ٣٤
- الأمومة في أدب المهجر الغزالي حرب ٣٥

بحوث

- الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده ، ونظرية التعسف في استعمال الحق بين الشريعة والقانون محمد عمر سعيد العامودي ١٧
- الزيت : سمة القرن العشرين (مدى أثر الزيت على حياة الانسان في هذا العصر) ٢٥

استطلاعات مصورة

- بعلبك : مدينة الشمس عصام العماد ١١
- (خرائب وآثار تحكي معالم حضارة سادت زمنا ثم بادت) ٤٥
- بلاد غامد وزهران (مناخ غليل ، وماء سلسيل ، وأرض طيبة ، وأيد نشيطة) ٤٥

ندوة القافلة

- الشعر بين المضمون والقالب حكمت حسن ٢١
- (حوار شارك فيه عدد من الأدباء والشعراء)

تاريخ

- مشاهد من تاريخ مكة (٤) أحمد السباعي ٣
- في ذكرى مولد الرسول : العودة الظافرة عبدالمقصود محمد حبيب ٥

قصّة

- دنابير زينب عبد الله حشيمة ٣٧

كتب

- كتاب الشهر : الجوانية محمد عبدالغني حسن ٤٢
- الحركة الأدبية في العالم العربي ٤٤

متنوعات

- من تراث العرب ١٩
- طرائف ٣٣
- كاريكاتير ٤١

قافلة الزيت

العدد الثالث المجلد السادس عشر

تصدّر شهرتاً عن :
شركة الزيت العربية الأمريكية
لموظفي الشركة - توزع مجاناً

رئيس التحرير
والنشر المسؤول

المحرر المساعد
عوني أبو كشك

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩

الظهيران ، المملكة العربية السعودية

يجوز الاقتباس والنشر منها دون
إذن مسبق على أن تُذكر كمصدر

صورة الغلاف

من آثار مدينة بعلبك التاريخية (راجع المقال)
تصوير : خليل أبو النصر



لغة اليوم والغد

الربيع

الربيع التي ارتفعت في الماضي وما زالت ترتفع اليوم محاولة التفتت فسي عضد اللغة العربية كثيرة . وهي وإن تفرقت وباعدت في الميول والأهداف تلتقي تحت شعارين وهميين كبيرين أحدهما يقول بترك اللغة العربية الفصحى واستبدالها باللهجات العامية مدعياً أنها أصبحت بعيدة عن واقع حياتنا فهي في واد ونحن في واد .. والثاني يدعو إلى اعتماد اللغات الأجنبية في العلوم والأبحاث موهماً أن لغتنا العربية عاجزة عن استيعاب روح العصر العلمية بعد أن ظلت - على حد هذا الادعاء - شبه جامدة هاملة خلال سنين طوال لا تواكب العلم ولا تسير الحضارة والتقدم إلا بمقدار ضئيل . هاتان هما ركيزتا الادعاءات التي تقوم بين فترة وأخرى للنيل من هذه اللغة الشريفة . ولكننا لسنا هنا في موضع تفنيد أغراض مثل هذه الادعاءات ، فهي على الرغم من كثرتها واهية كخيوط العنكبوت ، شفاقة كسجف الظلام يبددها نور الحقيقة والواقع .

العربية الفصحى بعيدة إلى حد ما عن تناول عدد كبير من أبنائها ، وليس هذا خطأ اللغة نفسها ، بقدر ما هو نتيجة عرضية تسببت بها عصور من الركود الثقافي حلت في البلاد العربية . ويكفي اللغة العربية فخراً أنها صمدت الأجيال

الطوال في وجه جميع التيارات المناهضة لها . ولكن بعد الشقة بين العرب ولغتهم لا بد له أن يزول حيث وجد ، بانتشار العلم وتوفر الفرص الدراسية أمام الملايين ومجهود وسائل الاعلام ورجال التربية .

وفي هذا وحده ما يكفي لنقض الادعاء الأول الذي سيصبح أنرا بعد عين في السنين المقبلة غير البعيدة ان شاء الله .

أما القول بعجز اللغة العربية عن استيعاب روح العصر العلمية فهو قول باطل لا طائل تحته ولا قدرة له على الصمود أمام واقع الحال . فاللغة العربية وسعت اعجاز كتاب الله والأحاديث النبوية الشريفة وفي هذا أكبر برهان على مرونتها وقابليتها على استيعاب المعاني العظيمة وسعة آفاقها .

وهي لغة ، بالإضافة إلى الشرف الذي خصها الله به ، وسعت أيام الأمويين والعباسيين علوم حضارات الأرض وآدابها عندما كانت لغات العالم الأخرى تمرح في ميادين الجهل والتخلف . وتكفيها دراسة واقعية لمعاجم اللغة العربية وكتبها لرى أن لغتنا الشاعرة ثرة بالألفاظ غنية ، بل إنها أغنى لغات الأرض دون استثناء .

فأي لغة تمتلك ناصية التعبير والبلاغة والاشتقاق بمثل المرونة والمتانة وحسن السبك والجزالة المتوفرة

في العربية ؟

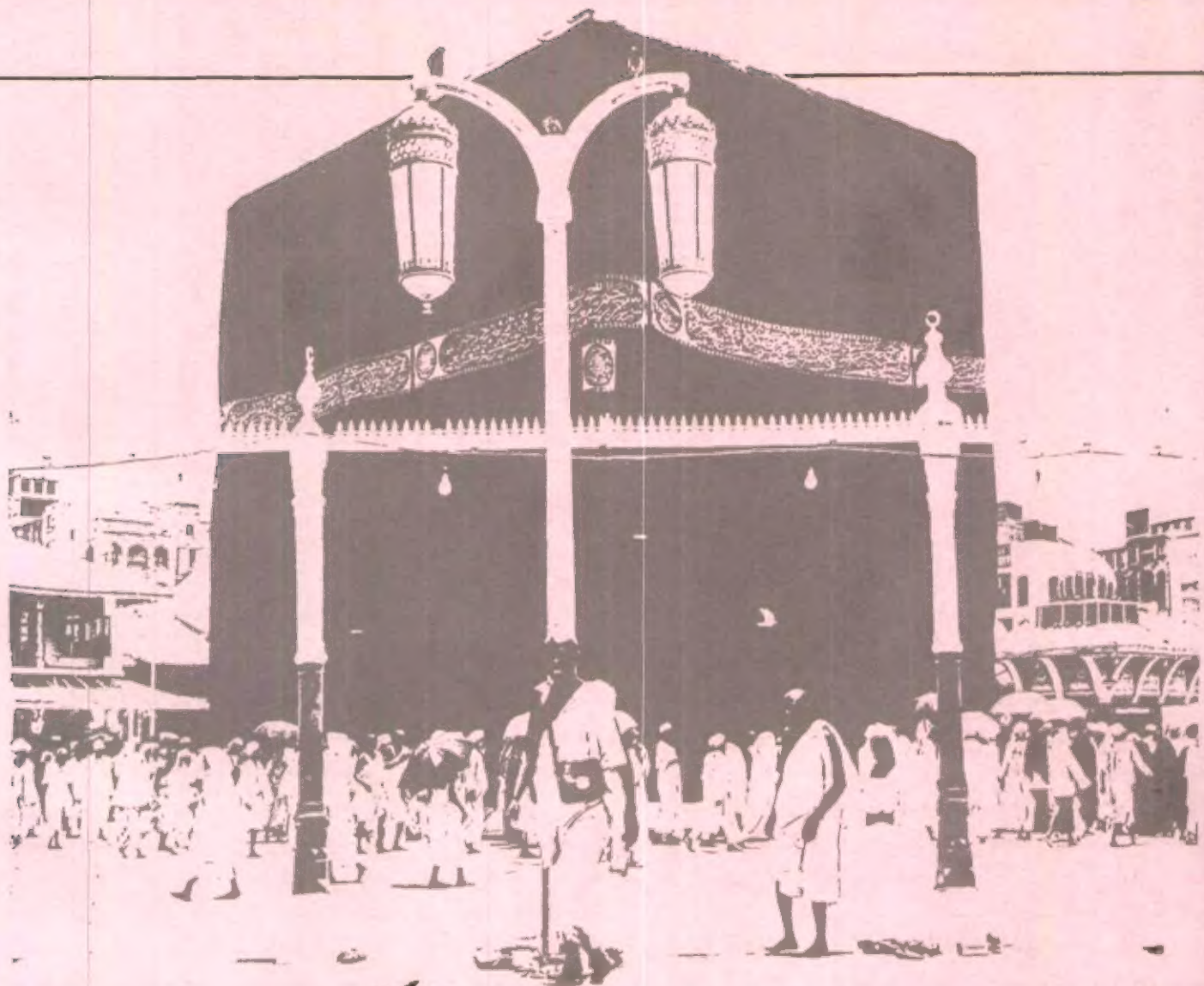
وأى لغة تحتوي ألفاظها على عشرات الأسماء والمترادفات والمتواردات بل مناتها للرياح والسحب والطيور والحيوانات والظواهر الطبيعية وعلوم الفلك والطب والطبيعات وغيرها ؟ وللعربية خواص كثيرة غير هذه تمتاز بها ويصعب تحديدها وتفصيلها هنا .

العربية ليست فقيرة اذن ، اما لغتنا العجز الذي يحاول البعض أن يصمها به فهو ان وجد موثقت نتج عن عدم تمكن من آلت اليهم هذه اللغة من مواكبة التطور العلمي والتقني في العالم الغربي نتيجة ظروف تاريخية معينة . ولدى العلماء والمفكرين والأدباء العرب دراسات تظهر أسبابه ، وهم جادون في معالجته .

وبهذه المناسبة أذكر ان أحد الأدباء كان يقول بكل تواضع : « ما نجهله من العربية أكثر مما نعرفه .. هذا ما يبدو لي كلما قرأت أدب الكاتب لابن قتيبة والكامل للمبرّد وغيرهما من كتب اللغة والأدب .. »

والأمل كبير في أن تعود لغتنا العربية فتؤكد نفسها ومكانتها للعالم أجمع بشكل لا يرقى إليه الشك ، فتخفف رايات الادعاء بما فيها من باطل زائف زائل ، وتبقى العربية لغة اليوم والغد .

خوادر الربيع



سَاهُ مِنْ تَارِيخِ مَكَّةَ (٤)

بقلم الاستاذ احمد السباعي

أن تبني بأحدهم ، ثم بنت بالثاني ، والثالث ..
والناسع ، والعاشر . لأنها في عرفهم سيدة نفسها ،
ومن حقها أن تبني بمن شاءت أو ما شاءت
من العدد ، قل أو زاد .

هناك قوم منكرون ولكن لا حيلة لهم فيما
ينكرون ، فظروف البيئة الحضارية مدت للبيئة
في مجالي الحرية ما لا ينتهي عند حد .

وعساك تمنى أن تستوثق من الغاية التي ينتهي
إليها المنكرون إذا اشتد انكارهم على ما يرون ،
ولا يكفيك ما قدمت من لمحات . لتبيني إذن ،
ففي هذه الثنية الصاعدة إلى الفلق يسكن حمسي

سلطانه على مستبح اللذة ، وتركهم يقيمون
أخلاقهم بما تستنسه معاييرهم الخاصة . أترتاب
في هذا ؟ وقد قدمت لك منه لمحة قبل اليوم ؟
اتبيني إذن ، ولا تسألني عن شيء حتى أحدث
لك منه ذكرا ..

هذا بيت عفراء ، وعفراء هذه من أجمل
فتيات زمانها . أشهد هذا الزحام على أبوابها ،
أنهم طلاب متعة .. ! ولكنها ليست متعة مما
تتخيل . إنها متعة مشروعة في معايير أخلاقهم ..
فهم أزواجها . أما ما يسمونه ديننا ، فلم يتعرض
للأمر بتحريم أو تحليل . لقد رضيت الجميلة

وقس .. أكانوا أصحاب جاهلية
فاسقة ؟

نعم ، لقد صادفت قريشا ظروف حضارية
خاصة ، هيأها الاحتكاك بأكثر من حضارة
في رحلاتهم العديدة ، ومدها الغنى ووفرة الكسب
بأهم أسبابها المغرية . وأنت تعرف ماذا تأخذ
الحضارة وكيف تعطي ، ولا تجهل ما في الغنى
من مزالق إلى الترف ، وما في الترف من استهتار
بالأخلاق والقيم .

وهم إلى هذا هيمن عليهم — ما كانوا يسمونه
دينا — فلم يحجر عليهم متعة ، ولم يفرض

من قريش بشرّ البارحة بمولودة له فتواري في بيته من سوء ما بشر به .

الا .. وقف ، فهذا المنحدر في طريقه الينا هو الحمسي الذي أعنيه ، ولكن ماذا يحمل بين يديه .

دعنا نقف على حاشية الجادة لتبينه ، ونبين ما بين يديه .

ها هو ذا وجهه يصافحنا وعلى مخايله امارات الكظم ، فهل فسرت ما يحمل ؟ أكبر ظني انها مولودته الجديدة توارى بها خجلا من القوم يوم توارى ، ثم عز عليه أن يمسكها على هون ، فترامى له أن يمضي بها الى البطحاء ليدسها في التراب ، فيقضي عليها .

انه يرى أنه خير لكرامته أن يغص بالآلام ما تفعل يده ، تحاشيا من أن يتعرض غدا اذا نهدت لما يחדش مروءته كحمسي غيور .

لا ، لا أريد لي أولك ، أن نتبعه الى حفائر البطحاء فمشاعرنا أرق من أن تصمد أمام ما سيفعله . وحسبنا أنا فهمنا من المعايير التي كانت تعيشها قريش مدى الحرية التي كانت تتيحها الظروف الحضرارية لمثل هذه الفتاة لو تركت تعيش حتى تنهد ، وأنا عرفنا مبلغ ما كان يعانیه المذكرون في سبيل هذه المعايير ، وجلهم من جماعة الحمس المترفعين ، عن بعض ترهات قومهم .

وأنا عندما أقول عن الحمس انهم مترفعون عن بعض ترهات قومهم ، أعني بهذا أنهم كانوا مضحكين في اقرارهم ما يستنسبون من ترهات أخرى .

تذكر ما قدمت لك قبل اليوم **لعلك** عن شعائريهم ، وهم يحرمون على أنفسهم أن يستظلوا بخيمة اذا احرموا للحج ، وأن يطعموا السمن ، أو الزبد ، أو اللبن . وأنه ربما عرضت لأحدهم الحاجة ، وقد خرج من بيته محروما ، فلا يستبيح لنفسه أن يعود في حاجته الى البيت ، الا ان ينقب في ظهر البيت نقبا يكفي لدخوله منه .

هذه ألوان من التزمت المضحك شرعوها لأنفسهم ، وأضافوا اليها أغرب منها وأبعث على الضحك .

ه نحن على أبواب عرفات ، فاذا فضاء الله الواسع يموج بعشرات الألوف من مظاهرات الشعر والوبر ، ويزدحم بما لا يحصى من الملبين ، هبطوها من سائر فجاج الجزيرة .. ولكن ما شأن هؤلاء ، ونحن نشهدهم في نجوة من منبسط عرفات ، يتكثرون بين مخارف التلال في وادي عرفة لا تقيهم من حمارة القيظ شجرة ولا تظلمهم خيمة . ترى هل جهلوا موقف الحج في عرفات ؟ لا ، ولكن تزميتهم أملى عليهم بأنهم أهل حرم الله ، وأن عليهم أن يعتزوا بقديسية حرمهم ، فلا يتجاوزون حدوده الى عرفات . حسبهم أن يقفوا ملبين في طرف من أكتافه ، وأن لا يستظلوا ، اذا استظلوا ، الا بأفياء التلال في وادي عرفة ، تميزا لهم عن حجاج الآفاق وبراً بترابهم .. تراب الحرم .

وهم يزدلفون قبل غيرهم الى مزدلفة ، لا ليتنلوا فيها ، بل ليتنلوا اصالتهم لحجاج الآفاق ، ويعلموا نسبتهم الى الاقبال من اصلاء مكة : « أنا فلان بن فلان ، من آل زعطان ، أو فخذ ترتان .. بنى أبي في مكة ، وشيد جدي قبله في بطحائها . »

انها جنابة التزمت المقيت ، الذي لا يبصر الى أبعد من مدى عينه ، فيهيء للمستهتر أن يناق عواطفه ، ثم يهتبلها فرصة ليمد في استهتاره ، ويرتع في بحوجة فجوره على حساب المترتمين في غير منهاج أو شرعة .

أريد أن أقول لك بعد هذا أن مذاهب الحياة في مكة لعهد قريش كان لا يجمعها جامع ، ولا يهيمن عليها سلطان ، ولا يحكم أخلاقها معيار . هنا حمسي يشدد في غير شرعة . ربما غضب لثمرة غضبها غاصب ، وأباح لنفسه استغلال اليتيم ، واستباح من أموال الربا ما لا نهاية لحدوده . وهناك من أصحاب العقائد من يدين بالنصرانية ، أو يؤمن باليهودية ، أو يؤله الكواكب ، أو يقدر الأصنام ، أو يكفر بكل معتقد ، ويرى انه مخلوق الدهر وأنه لا يهلكه الا الدهر .

في هذا المجتمع المائج اضطربت الأفكار واصطخبت ، ونشأت في مهده أجيالا لا تعرف الالتزام ولا تعتد به ، واحتكت بها آلاف الظروف الحضرارية ، فأعطت أكثر مما أخذت ،

ومدت من مجالي الحرية الشخصية ما لا حد لسعته . فاشتعلت وقدة المشاعر وانطلقت تندفع في آفاق لا يحدها قانون ، وانطلق الشعر بانطلاقها يحلق في كل مجال ، فكان أبو طالب ، وأبو سفيان ، وأبو حذافة ، وهيرة بن أبي وهب ، وعبد الله بن الزبيري ، والزبير بن عبد المطلب . وجاراهم المذليون جيرانهم ، فكان منهم جنادة ، وجندب ، والمتنخل ، وأبو ذؤيب ، وأبو خراش ، واسامة بن الحارث ، والعجلان ابن خليه .

والسمر مجالات الفن اللاهي ، فكانت حفلات السمر تضج بها شباب مكة في أكثر لياليها ، تصددها الفانات من الاصيلات والقيان . كن لا يحتجب ولا يتوارى ، وكانت الغانيات منهن يتبرجن تبرجا فائتا ، نعاه القرآن عندما نهى المسلمات أن يتبرجن تبرج الجاهلية .

أيرفك أن تسمع ؟ هذا جيش قريش في منصرفه من غزوة بدر ، يأبى عليه أبو جهل أن ينصرف منصرف الجيوش : « والله لا نرجع حتى نقيم على بدر ثلاثا ، نحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب . »

وهذا التزمت الذي حدثك عنه قبل اليوم ، والذي جعلوا منه شرعة تفرض على الطائف ان لا يطوف بالبيت في ثوبه الذي أذنب فيه ، ألا ترى فيه ما يبعث على الأسمى أو يغري بالضحك ؟!

اذا كنت تريد أن تشهد مآسيه ، فهلم بي ننحدر الى صحن الكعبة .. هذه فتاة من آل عبد العزي تنحدر أمامنا الى المطاف . أنرى هذا العتل الأشنب كيف يعترض طريقها ؟! انه لا ينوى ريبة بما يعترض ، ولكنه حمسي جامد يأبى أن يطوف مثلها في ثوب أذنب فيه ، فهو يسوقها الى معروضاته من الثياب الطاهرة ليتكسب من أجرتها . أنراها كيف انسلخت من ثيابها المذنب تحت ضغط أوامره الصارمة ؟! لقد وجدها لا تملك أجرة ثيابه ، فدفعتها لتطوف عارية .

اذا رأيت ، ثم رأيت .. أمة لا تنسى حتى في أشد أيامها محنة أن تحتفل بفنها اللاهي ، فتصطحب قباها وخمورها وآلات سماعها حتى الى مهابط حوتها .. كما تفعل اليوم أحدث الجيوش حضارة .

«لقد حملت به ، فما وجدت له
مشقة حتى وضعت ، فلما فصل
مني خرج معه نوراً ضياء له
ما بين المشرق والمغرب ، ثم وقع
على الأرض معتمداً على يديه رافعاً
رأسه إلى السماء ..»

آمنة بنت وهب

العودة اللفظ

تطمع أن يكون في المجهول خير لها ، فتحظي
برضيع ثري الأب غني الأهل ، مما يضيء عليها
الوفير من الخير والنعمة .. وفي ذهن كل منهم
أن تقضي رحلتها ضاحكة حتى تواجه رزقها
المرجو وهي مستبشرة ، فيكون من السعة بما
يرضي خاطرها .

وناهلك عن ركب من نساء يسافرون إلى مكة
المكرمة كي يرضعن أبنائها . مهما تكن حالة
بؤسه ، فقد زاد هذا البؤس على ركب صغير
بينهن ، مكون من امرأة هي حليلة بنت الحارث ،
وزوجها وطفل لهما رضيع ، قدموا مع الآخرين
من بادية بني سعد ، وحالتهم من دون الركب
تدل على شدة الفقر والجذب .. حليلة بادية
الضعف والهزال ، وزوجها ظاهر البؤس والفاقة ،
وظفلهما لا يكف عن الصراخ ولا ينقطع عن
أنين الجوع .. لا تكاد حمارتها الهزيلة تحملها من
ضعفها ، ولا فرق بين ضعفها وهزال ناقة زوجها .
وبينما الركب يسير ، كان في مكة مولود
جديد ، هو من دون الآخرين للحياة فتح مبین .
ولده أمه آمنة بنت وهب في عام الفيل يوم
الاثنين في الثاني عشر من شهر ربيع الأول .
وكان حمله غير حمل النساء لأبنائهن . كان
يسرا وسهولة ، ونورا مشرقا . قالت آمنة :

«لقد حملت به ، فما وجدت له مشقة حتى
وضعته ، فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له
ما بين المشرق والمغرب ، ثم وقع على الأرض
معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء .»
وكانت تحضر ولادته زوجة أبي العاص ، وقالت :

الركب الصغير وعاد .. كان قليل
العدد بين ركب غفير . وفرق
كبير بين ذهابه وبين عودته .. في ذهابه تأسى
عليه الباقون ، وضحكوا منه ساخرين ، وتندروا
عليه ليكسبوا رحلهم ترفيها يسهل عليهم أمر
الطريق ، وفكاهة تهون على قلبهم مشقته . أما في
عودته فهاهم ما وجدوه عليه من تغير ، ودارت
في نفوسهم نسمات الغيرة ، وعلتهم الدهشة ،
وعدم التصديق - أحيانا - لما يرون .

كان الركب الكبير ، ركب المراضع من نساء
البادية .. يذهبن إلى مكة المكرمة بين الوقت
والآخر ، يلتصقن الأطفال حديثي الولادة ،
يرضعنهن ويكسبن لقاء لبنهن ما يقمن به أودهن .
وكانت الأمهات ، وخصوصا نساء السادة من
قاطني مكة المكرمة وأشرافها ، يلقين بأولادهن
إلى هؤلاء المراضع ، ويغدقن عليهن من الأجر
والمكافأة وفضل العطاء ، بمقدار ما يتناسب مع
ما طبعت عليه نفوسهن ونفوس أزواجهن من كرم ،
وسماحة ، وحب للخير .

وارضاع أولاد الأشراف في مكة من نساء البادية
لم يكن بدعا ، بل كان من عاداتهم أن يبعثوا
بأطفالهم يعيشون في أحضان مراضعهم من نساء
البدو ، لاعتقادهم أن جوها فيه حرية ونقاء ،
وهواءها المتجدد الصحيح أحسن أثرا في نموهم
الجسمي والفكري ، وفي طلاقة لسانهم ، وطبع
حياتهم على الشجاعة ، والفروسية ، والشعر ،
والحرية ، وقوة القلب .
جدّ ركب المراضع في سيره ، وكل منهن

بقلم الاستاذ
عبد المقصود محمد حبيب

لقد شهدت ولادة آمنة بنت وهب ليلة ولادته ، فما شيء أنظره في البيت الا نور . ولقد رأيت النجوم تدنو ثم تدنو ، حتى لقد خشيت أن يقعن عليّ . »

فرحت به أسرته رغم عدم وجود أبيه . وظل في حجر أمه بضعة أيام كان ركب المرضعات خلالها وصل الى مكة المكرمة وأخذت نساؤه يجبن الطرقات ، تدق أيديهن بيوت الودلات . ومررن جميعا ببيت آمنة ، ولم يغرن ما سمعن من نور مولده . فهن يردن أهل الغنى ، حتى يحظين بأجر كبير ومال وفير .

وحليمة السعدية مرت بذلك البيت هي الأخرى ، وكانت نظرتها نحو الوليد وفقر أهله ويتمه مثل صاحباتها ، فعالت عنه مثلن ، وأخذت تدور على البيوت الأخرى وراءهن .

وانتهت الدورة ، وخرجت كل مرضعة بما أثلج صدرها ، وأرضى شوقها فيما تمت وأرادت ، الا حليمة لم تجد من ذلك شيئا . فعادت لزوجها عند أطراف مكة وحيدة خفيفة من أي شيء تحملها ، فقال لها :

— ما بالك يا حليمة قد عدت من دون الصاحبات صفر اليدين ؟ قالت :

— حظي اليوم كان على غير ما نبغي . قال : كيف ذاك ؟ قالت :

— ما وجدت سوى طفل فقير يتيم ، وليس له الا جده وأمه . قال :

— ورغبت عنه ؟ قالت :

— ما عسى أن يصنع لنا جده وأمه ، وحالنا كما تعلم في هذه السنة القاحلة !

فأصاب الرجل صمت ، ودارت في خاطره شدة عيشهم ، وزوجته بجانبه صامته أيضا . لكنها تفكر في شيء غير حالها .. أنها تفكر في الوليد اليتيم الذي زهدت فيه وتركته ، ووجدت في نفسها شيئا مبهما يدفع بها لأن تعود اليه ، فربما لا يكون قد أخذه أحد . فنهضت ، وقالت لزوجها :

— انني والله ما زلت مشفقة على هذا اليتيم مذ رأيته ، وما زالت نفسي تراودني أن أعود اليه فأخذه . قال :

— هكذا ؟ قالت :

— أي والله ..

فنظر الزوج حواله ، ثم رد الطرف الى ناقته وحماره زوجته ثم طفلهما ، وقال لزوجته :

— وما علينا اذا أخذناه يا حليمة . فلأن ترجعي ومعك هذا اليتيم خير من أن ترجعي من دونين صفر اليدين . وقالت :

— اني والله به عالقة .

وأشرق في قلب الرجل نور فقال :

— لإذهبي اليه فخذيه لعله يكون لنا خيرا وبركة .

غذت حليمة سيرها ، وأجنحة من الشوق تحملها فوق الثرى حتى جاءت بيت آمنة بنت وهب . ولم تكد تناول « محمدا » حتى وضعت في حجرها ، وضمتها الى صدرها ، ضم الظاميء الملهوف ، ولكنها بهتت وكتمت دهشتها . فقد ثقل ثدياها بما شاء من لبن ، فوضع حتى امتلأ ، وكذلك ابنها رضع هو الآخر حتى امتلأ .

وعادت بالوليد اليتيم ، وهي فرحة لما فاض عليها من رزق في ثديها بعد وشك الجفاف ، وحكت لزوجها ما لا يمكن أن يتصوره : أن رضع اليتيم حتى شبع ، ورضع ابنها حتى شبع ، وما زال ثدياها مثقلين بما يحملان . والرجل يعجب لما يسمع ، وتتملكه الحيرة في ارجاع ما تقول الى سبب .

فل هذا الركب الصغير تحت خيمته يستظل بها حتى يحين موعد العودة .

واشتد الجوع بحليمة وزوجها ، وأرهقهما العطش ، وضيق الحر أنفاسهما . وليس هناك ما يطعمانه ، فالناقة جافة الضرع كعهدهما بها .. لا تلين الا كل وقت ووقت ، وبين الوقتين مدى طويل . لكن الأمل في استمرار الحياة دفع به أن يضع يده على ضرع الناقة .. ربما .. وما مسه يده الا ودر اللبن منه درا غزيرا ، فشرب هو وزوجته ما شاء لهما الري ، فشبعوا ولم يعد عندهما من مكان لزيادة .

نظرت حليمة لزوجها ، ونظر زوجها اليها .. كلتا النظرتين كانت واحدة . وقالت بدهشة وتعجب :

— ما هذا ؟

وقال الزوج سريعا ، يرد على قلبه المتسائل ، ونظرة زوجته التي تحمل السؤال نفسه :

— يا حليمة لقد والله حصلنا على نسمة مباركة .

وأقبل على « محمد » يقبلانه ويضمانه في حنانهما الغامر ، وينظران الى وجهه ، فيشرق نوره الوضيء في قلوبهما ، ويضفي على فؤادهما راحة كبيرة وطمأنينة فياضة .

غادر الركب حدود مكة ، وسار عائدا برضيعه

الى مقامه في بادية بني سعد . وقامت حليمة السعدية الى حمارتها البيضاء فركبتها ، ومحمد على صدرها . وقام زوجها الى ناقته فامتطى فوق سنامها ، وابنه الرضيع معه . واندفعا بالراجلتين الهزيلتين ليلحقا بالركب الذي سبق وأمعن في السير على طريق العودة .

فن هذا الركب الصغير المتخلف بإراجلته الهزيلتين ، وآمن أنه سيعود وحيدا بعد أن يكون الركب الكبير قد وصل الى أرضه وقضى وقتا طويلا من الراحة والاستقرار .

ولكن — ويا للعجب — فهذا الركب الذي حصل على نسمة مباركة وجد راحلته وقد استبدلتا بالضعف قوة ، وبالهزال عافية ونضارة ، وبالتأخر في المسير تقدما ، وبالتريث في الخطو اسرعا حتى لحقا بالرواحل السابقة ، وأصبحت حليمة تراحم سابقاتها حتى خلفتهن وراءها . فأخذن يتصاحكن ولا يصدقن ما رأين ، فقلن لها :

— ارفقي بنا يا ابنة أبي ذؤيب . أهذه أتانك العرجاء التي كنت تركبينا في الغدو ؟

فترد عليهن ضاحكة مستبشرة :

— هي العرجاء .. انها والله هي . فيملوئن العجب ، وينبو الأمر بهن عن التصديق ، ويقلن لبعضهن :

— حقا .. انه لشيء عجيب . فنجيبهن :

— لا والله .. ان لها لسانا .

عادت حليمة الى أرضها بكسب كبير ، كانت قد رفضته أول الأمر ، ولكن رفق الله بها وبمن أراد أن يصنعه على عينه ، وأن يحمله رسالته لهداية الخلق .. من عليها وأشفق به . فعادت وحملت في ذراعها ، فكثرت لبنها بعد اقلال ، وأشبعه مع ابنها بعد أن لم يكن يكفي ابنها وحده ، وامتلا ضرع ناقته بالغذاء ، بعد أن كانت زوجها يتضوران من الجوع أوقانا طويلة حتى يكرمهما ضرعها بجرجعات ممعة في القلة .

ونظرت فوجدت أن الخير أقبل عليها من كل ناحية ، والبركة تحل عندها في كل شيء . حتى أغنامها تخرج الى المراعي مع أغنام غيرها ، فتعود أغنامها ممتلئات الضروع ريانة العود . ويظن الناس أن أغنامها ترعى في المراعي الخصيبة ، وأغنامهم ترعى في المراعي القاحلة .

ولكن لم يظن أحد منهم مطلقا أنها عادت من رحلتها الى مكة المكرمة بالبركة .. تحمل رسول الخير والانسانية صلوات الله عليه وسلامه .

فَحْدَةُ الْبَيْتِ وَوَحْدَةُ الْقَصِيدَةِ

في اللغة العربية

بقلم الأستاذ محمود الشرفاوي

بأجزائها ، واللحن الموسيقي بأنغامه ، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أدخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها .. ورأيهم يحسبون البيت من القصيدة جزءا قائما بنفسه ، لا عضوا متصلا بسائر أعضائها فيقولون : أفخر بيت ، وأغزل بيت ، وأشجع بيت ، وهذا « بيت القصيد » وواسطة العقد ، كأن الأبيات في القصيدة حبات عقد تشتري كل منها بقيمتها ، فلا يفقدها انفصالها عن سائر الحبات شيئا من جوهرها . وبهذا المقياس تقد العقد شعر شوقي في حملته الماثورة عليه ، والتي يذكرها قراء الأدب ومؤرخوه في الربع الأول من هذا القرن ، وكذلك فعل الأستاذ «اسماعيل مظهر» في نقده لشوقي أيضا . فهل صحيح أن الشعر العربي ، على وجه التعميم ، يقوم على وحدة البيت وليس على وحدة القصيدة ؟

وهل صحيح أن هذا عيب في هذا الشعر يضعه في منزلة أدون من الشعر الغربي ؟
الجواب على السؤال الأول هو النفي ، فالشعر العربي على وجه التعميم . لا

يقول بعض الكاتين والمتحدثين في الشعر العربي ان القصيدة فيه قائمة على وحدة البيت ، بمعنى أن كل بيت في القصيدة قائم منفرد بذاته ، لا ترابط بينه وبين ما قبله وما بعده من أبيات القصيدة ، وليس قائما - كالشعر الغربي - على وحدة القصيدة ، بحيث يجد القارئ أو السامع لهذا الشعر أن هناك وحدة وترابطا بين أبيات القصيدة كلها ، أو بين أبيات كل « مقطع » منها على الأقل .

والأستاذ العقاد يسمي هذه الوحدة « الوحدة العضوية » ، وهي أن تقوم القصيدة على موضوع واحد ، ويسمي وحدة البيت « التفكك » ، وهو : « أن تكون القصيدة مجموعا مبدآ من أبيات متفرقة ، لا تؤلف بينها وحدة الوزن والقافية ، وليست هذه بالوحدة المعنوية الصحيحة ، إذ كانت القصائد ذات الأوزان والقوافي المتشابهة ، أكثر من أن تحصى . ان القصيدة ينبغي أن تكون عملا فنيا تاما يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة ، كما يكمل التمثال بأعضائه ، والصورة

يقوم على وحدة البيت على الدوام ، وما عاب به العقاد شوقيا في ذلك أعتقد أن سببه عنف الخصومة الأدبية التي كانت قائمة بينهما يوم ذاك . والعقاد نفسه له قصائد كثيرة من أجود شعره قائمة على تلك الوحدة العضوية ، التي يقول ان الشعر ينبغي أن يقوم عليها .

نجد وحدة القصيدة وتماسكها « العضوي » الكامل في كثير من الشعر العربي على مختلف عصوره ، من الجاهلي الى عصرنا الحاضر . ومعلّقة امرئ القيس فيها مقطوعات تمثل وحدة القصيدة تمثيلا كاملا في حوار مع « فاطمة » ، وفي غيرها . يقول :

أفاطم : مهلا بعض هذا التدلّل
وان كنت قد أزعمت صرمتي فأجملي
أغرّك منّي أن حبك قاتلي
وأنتك مهما تأمري القلب يفعل
ونجد وحدة القصيدة قائمة متكاملة في هذه القصيدة الرائعة للملك بن الرّيب المازني ، من رجال القرن الأول الهجري ، يذكر من يظن أنه سيكي عليه بعد موته ، فلا يجد غير سيفه الذي كان يبطش به ، ورمحه الذي كان يظعن به الأعداء والخصوم ، ثم ينادي صاحبيه يقول لهما ماذا يصنعا وقد قرب منه أجله :

تذكرت من يكي عليّ فلم أجد
سوى السيف والرمح الرّديني باكيا
فيا صاحبي رحلي ، دنا الموت فانزلا
برابية ، اني مقيم لياليا
أقيما عليّ اليوم أو بعض ليلة
ولا تعجلاني ، قد تبين ما بيما
وخطا بأطراف الأسنة مضجعي
ورداً على عينيّ فضل ردائيا
ولا تحسداني ، بارك الله فيكما ،
من الأرض ذات العرض أن توسعا لي

خذاني فجّراني ببردي اليكما
فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا
زار الشاعر منازل أحبابه الراحلين ، ثم وقف على أطلال هذه المنازل يأساها عن أصحابها ، داعيا الله أن يجود عليها بالمطر الغزير ، ثم يقوم بين الشاعر وهذه الاطلال

هذا الحوار القوي الجميل في هذه القصيدة :
تعاهدتك العهد يا طلل

خبر عن الظاعنين : ما فعلوا ؟
فقال : لم أدر غير أنهم
صاح غراب بالبين فاحتملوا
لا طال ليلى ولا نهاري من
يسكنني أو يردّهم قفل
ولا تحليت بالرياض وبالنو

ر ومغناي منهم عطل
عليّ هذا ، فما عليك هم .. ؟
قلت : زفير ودمعة حمل
وانني مغلق الضمائر من
حبّ سواهم ما حنت الابل
فقال : هلاّ تبعتهم أبدا

ان نزلوا منزلا وان رحلوا
هيات : انّ المحبّ ليس له
همّ بغير الهوى ولا شغل
تركت أيدي النوى تعودهمو
وحسني عن حديثهم تل .. ؟
فقلت للقول ، لا قرار لنا

من دون سلمى وان أبى العدل
ويثره تحميس هذه الأطلال ولومها إياه على
التراخي في تتبع أصحابه ، فيخرج الى الصحراء
على مطيته تضرب أخفافها الأرض في هجير
الشمس :

ولم أزل أخط الفلاة بأخفا
ف المطايا والظل معتدل
وأي روعة في وحدة القصيدة نجده أقوى
وأبرع مما نجده في قصيدة « عمر بن أبي
ربيعة » التي مطلعها :

أمن آل نعم انت غاد فمبكر
والتي يصف فيها كيف رآته « أسماء »
بعد الغياب ، وصاحبته تحاورها ،
فتقولان :

فتني فانظري ، أسماء ، هل تعرفينه
أهذا المغيريّ الذي كان يذكر
أهذا الذي أطريت نعتا فلم أكن
وعيشك أنساه الى يوم أقبر
فقلت : نعم ، لا شك غير لونه
سرى الليل يحبى نصته والتهجّر

لئن كان إياه لقد حال بعدنا
عن العهد ، والانسان قد يتغير
رأت رجلا : اما اذا الشمس عارضت
فيضحي وأما بالعشيّ فيحصر
بصف نفسه وهزاله وسيره وشقاءه حتى
يصل منازل قومها ويريد أن يعرف

بيتها بين تلك المنازل ، فيقول :
وبت أناجي النفس : أين خاؤها
وكيف لما آتني من الأمر مصدر
يدلّ عليها القلب ريبا عرفها
لها ، وهوى النفس الذي كاد يظهر
فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت

مصابيح شئت بالعشاء وأنور
وغاب « قمبر » كنت أرجو غيوبة
وروح رعيان ونوم سمر
وخفض عني الصوت اقبلت مشية
الحجاب وشخصي خشية الحيّ أزور
فحييت اذ فاجئتها فتولّته

وكادت بمخفوض التحية تجهر
وقالت ، وعضت بالبنان ، فضحنتي
وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر
ثم نجد بعد ذلك قصة بارعة يسوقها عمر
ابن أبي ربيعة في شعر رائع قائم على الوحدة
العضوية ، يصف فيها كيف تحايل حتى خرج
يسير بين صاحبتيها من منازل القوم دون أن
يحسّوا به .

ثم يحيى « ابن الرومي » ، شاعر التوليد
والاسترسال ، فنجد له قصائد طويلة ورائعة ،
تقوم على وحدة القصيدة وحدة « عضوية » كاملة .
أختار مثلا لذلك قصيدتين له : الأولى رثاء
ولده الأوسط ، وفيها يصف حزنه ولوعته على هذا
الولد ، وأن أخويه اللذين عاشا بعده ليس لأيهما
فيهما شيء من الغزاء والسلوان ، بل فيهما له
اللوعة والتذكير بفقد من فقد :

محمد : ما شيء توهم سلوة
لقلبي الا زاد قلبي من الوجد
أرى أخويك الباقيين كليهما
يكونان للأحزان أورى ، من الرّند
اذا لعبا في ملعب لك لذعا
فؤادي بمثل النار ، عن غير ما قصد

فما فيهما في سلوة بل حرارة
يهيجانها دوني وأشقى بها وحدي

وأنني ، وإن متعت بابني بعده
لذاكره ما حنت النيب في نجد
وأولادنا مثل الجوارح أيتها
فقدناه كان الفاجع البين فقد
هل العين - بعد السم - تكفي مكانه
أم السم - بعد العين - يهدي كما تهدي
لعمري لقد حالت بي الحال بعده
فيا ليت شعري ! كيف حالت به بعدي
لقلت سروري كله اذ نكلته

وأصبحت في لذات عيش أخا زهد
والثانية من شعر ابن الرومي
والقصيدة هي تلك الميمية الرائعة التي
قالها في رثاء البصرة ، وما نال أهلها من فتنة
الزنج (١) ، والتي يقول فيها :

بينما أهلها بأحسن حال
اذ رماهم عيدهم باصطلام
وخلوها كأنهم قطع اللي
ل اذا راح مدغم الظلام
أي هول رأوا بهم أي هول
حق منه يشب رأس الغلام
اذ رموهم بنارهم من يمين
وشمال وخلفهم وأمام
كم أغصوا من شارب بشراب
كم أغصوا من طاعم بطعام
كم ضنن بنفسه رام منجا
فتلقوا جبينه بالحسام
كم أخ قد رأى أخاه صريعا
ترب الخد بين صرعى كرام
كم أب قد رأى عزيز بنيه
وهو يعمل بصارم صمصام
كم مفدى في أهله أسلموه
حين لم يحمه هنالك حامى
كم رضيع هناك قد فطموه
بشا السيف ، قبل حين الفطام

بدلت تلكم القصور تلالا
من رماد ، ومن تراب ركام

سلط البثق (٢) والحريق عليها
فنداعث أركانها بانهدام

وخلت من حلولا فهي قفر
لا ترى العين بين تلك الأكام
غير أيد وأرجل بالنات
نبذت بينهن أفلاق هام
ووجه قد رمتها (٣) دماء
بأبى تلکم الوجوه الدوامي
وطئت بالهوان والذل قسرا
بعد طول التجيل والاعظام
الى آخر هذه القصيدة الفريدة من عيون
الشعر العربي .

ونجد وحدة القصيدة قائمة كاملة في قصيدة
« البحرى » المشهورة في وصف « ابوان كسرى » ،
وبخاصة في تلك الصورة المتكاملة الرائعة التي
تصور ما كان على حوائطها من الرسوم والتصاویر :
لو تراه علمت أن الليالي
جعلت فيه مأتما بعد عرس

وهو ينیک عن عجائب قوم
لا يشاب البیان فيهم بلبس
فاذا ما رأيت صورة أنطا
كية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا موائل ، « وانوشر
وان » يزجي الصفوف تحت الدّفس (٤)
في اخضرار من اللباس على اصف
مر يختال في صيغة ورس
وعراك الرجال بين يديه
في خفوت منهم وأغماض جرس
من مشيح يهوى بعامل رمح
ومليح من السنان بترس
تصف العين أنهم جدّ أحيا
ء لم يينهم اشارة خرس
يغلي فيهم ارتياسي حتى
تقرأهمو يداي بلمس
نجدها قائمة قوية متماسكة في
قصيدته المشهورة ، التي يصف فيها
كيف لقيه الذئب في الصحراء ، وكيف تواتبا
ليفترس كل منهما صاحبه :

سما لي ، وبني من شدة الجوع ما به
بيداء لم تعرف بها عيشة رغد

كلانا بها ذئب يحدث نفسه
بصاحبه والجد يتعه الجد
ثم يتغاليا فيغلب « البحرى » الذئب فينال
من لحمه قطعة قليلة ، ثم يتركه وحيدا قد
عقره التراب :

ونلت خيما منه ثم تركته
وأقلعت عنه وهو منعفر فرد
فاذا جاء العصر الحديث وقويت الصلة بين
شعراء العربية وشعراء الغرب ، كان من الطبيعي
أن نجد شعرا كثيرا تقوم قصائده على هذه
الوحدة ، التي رأينا أن شعراءنا عرفوها في كثرة
ووفرة منذ العصر الجاهلي .

نجد للعقاد من ذلك قصائده « العقاب الهرم »
و « وقفة في الصحراء » و « ترجمة شيطان » ،
و « كولومب في الاقيانوس » ، وغيرها .
ومن أجمل النماذج في ذلك قصيدة « الأطلال »
للشاعر ابراهيم ناجي ، وقصيدتا « أعطني الناي
وغن » ، و « المواكب » لجبران خليل
جبران .

وهذه أربعة أبيات فقط ، لا نجد فيها وحدة
قصيدة فقط ، بل نجد - الى جانب ذلك -
حوارا يتضمن قصة من قصص الحياة خالدة ،
وهي للشاعر المهجري الكبير « نسيب عريضة » :
أخذت نفسي الى طبيبي
وقلت : يا طب ، ما العلاج ؟..

فراح يأسو مقام جسمي
ويحسب الداء في المزاج
فقلت : يا صاح جفّ زيتي
فباطلا تجبر السراج
اذا خبا النور في الدراري
فما ترى يرفع الزجاج ؟..
ومن أجمل الشعر الجديد الذي نجد فيه
« وحدة القصيدة » الى جانب حلاوة اللفظ ودقة
الشعور وجمال الوصف ، قصيدة الشاعر المعاصر
« فؤاد شاعر » في « مصيف الطائف » وهي
طويلة تجترى منها بهذه الأبيات :

مصيفا الرائع الجميل
وجوه المشرق العليل
وليله ، بالمنى ، قصير
ويومه ، بالسنا ، طويل

أشجاره الخضر باسقات
وظلّها وأرف ظليل
تضوّعت بيده عبيراً
وروحها ناسم بليل

وصيّب المزن قد نوالى
غيباً فتروى به السهول
وهباً من بعده نيم
مؤرج ، منعش ، بليل

ذالك هو « الطائف » المفدّى
طواف قلبي به بطول
مباهج الحسن في رباه :

الليل ، والفجر ، والأصيل
ومن الأمثلة الصادقة التي نجدها لوحدة القصيدة
في الشعر العربي الحديث ، قصيدة « السفينة الجوالة »
للشاعر المهجري الكبير « جورج صيدح » ، التي
يصف فيها - في صور حية متماسكة - ركوبه
على ظهر هذه السفينة في طريق هجرته الى أمريكا .
ويصف حياته وحياة الناس فوقها ، فيقول :

لي في البحيرة مركب
كالصرح ، لا يتقلب
هو في العثبة مسرح
هو في الضحبة ملعب
هو في النهار حمامة
هو في الليالي كوكب
جمع الزوارق حوله
كالولد يجمعها الأب
وفيها يصف مشاعر قلبه واحساسات نفسه
في صور قلقة صادقة متماسكة ، فيقول :

أنسي أبتك ، يا بحير
رة مدنفنا أنطبّب
أنا ذلك الشبح المريد
ب الواجف المتغرب
حيران أية معنة
أشكو ، وأية أنذب
لي مدمع ، في القلب سا
ل ، عن العيون محجب
حلو الحسود اذا رأى
من ذلتي ما يرغب

ثقلت على نفسي الحياة
وضاق فيها المذهب
لا مال ، لا آمال لا
هدف بلوح فأطلب

السؤال الثاني : « هل وحدة البيت
عيب في الشعر العربي يضعه في منزلة
أدون من منزلة الشعر الغربي » ، فالجواب عليه
النفي أيضاً :

فأي عيب في أن بيتاً . أو شطر بيت ،
بلغ من السلاسة وصدق التجربة مبلغاً جعل الناس ،
على المدى الطويل ، يحفظونه ويتذاكرونه ويتداوله
بعضهم عن بعض ويسمعه بعضهم لبعض ؟!
كما نجد في بيت عمرو بن براق الحمداني ،
مثلاً :

متى تجمع القلب الذكي وصاروا
وأفقا حياً تجنبك المظالم
أو في هذا البيت :

ولا يقيم على ضيم يراد به
الا الأذلان : غير الحي والوند
أو في هذه الأبيات المفردة من معلقة « زهير
ابن أبي سلمى » ، وهي أبيات تفرق ، ولكنها
مع ذلك تجتمع في نسج متناسق من الحكمة
والصدق والرواء والبلاغة العالية :

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عم
رأيت المنايا غبط عشواء ، من تصب
تمته ومن نخطيء يعمّر فيهرم
ومن لم يصانع في أمور كثيرة
يضرّس بأنياب ويوطأ بعنم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيخل بفضل
على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن هاب أسباب المنايا يئله
وان يرق أسباب السماء يئلم
ومن يجعل المعروف في غير أهله
يكن حمده ذمّاً عليه ، ويندم
ومن يغترّب بحسب عدوّا صديقه
ومن لا يكرّم نفسه لا يكرّم

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم
بيت من هذه الأبيات الرائعة أصبح
مثلاً يتلى ، ويحفظ ، ويدون على
مدى الأجيال والدهور .

ومن ذلك أيضاً بيت لشوقي . له وحدة ذاتية
قائمة متكاملة :

ينال باللين الفتى بعض ما
يعجز ، بالشدة ، عن غصبه
أو قوله :

الأم مدرسة اذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق
أو قول القائل :

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقها
هوانا بها كانت على الناس أهونا
أو قول المتنبي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم
وعشرات . أو مثات غيرها .

بل ان أشطر أبيات . سارت - لصدقها
وبلاغتها - مثلاً ، « حقّ لها أن تكون ، كشطر
المتنبي ، الذي يقول :

لا تحب الشحم فيمن شحمه ورم
والذي يقول : ما لجرح بميت ايلام
وشطر بيت أبي فراس :

اذا متّ طمأنناً فلا نزل القطر
وشطر البيت الذي يقول :

حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء
والذي يقول : من قرّ عيناً بعيشه نفعه
وغير ذلك كثير جداً مما تضمنته دواوين الشعر
وكتب الأدب والأمثال .

فهذه الأبيات وأشطرها تجمع ، في بلاغة
وايجاز ، ثمرة الحكمة والمعرفة وخلاصة التجارب
الانسانية ، ويكفيك هذا لتكون باقية خالدة .
وكثير من هذه الأبيات وأنصافها لو ترجم لبقيت
له قيمته وحكمته وصدقه ، ولو أن بلاغته العربية
قد تكون مرهونة بلغتها وأدائها وصياغتها وذوقها
العربي .

نوكباد

الجزيرة



لم يبق من الـ ٤٠٠ عمود التي كانت تغطي الهيكل - جوبيتر - سوى عدد الأعمدة الستة .

من حجارة الجدران
والتي كانت
تسمى بـ «بعلبك»
التي كانت
تسمى بـ «بعلبك»
التي كانت



كل حجر من حجارها الضخمة ،
وعلى صفحة كل من أعمدتها الثابتة
الراسخة ، وفوق كل مدرج من مدرجاتها الرحبة
تكمن الروعة ، ويتجلى الجمال .. تلك هي
قلعة بعلبك التي تعود الى عهد موغل في القدم ،
والتي حيك حول مولدها العديد من الأخبار
والأساطير . قبل فيها : « انها أقدم بناء في
العالم .. شيدها قاين بن آدم عام ١٣٣ من بدء
التكوين ، في احدى سوراته غضبه ، وأطلق
عليها اسم ولده اخنوخ ، ثم أسكن فيها جماعة
من العمالقة ، تعسفوا وظلموا ، فكان عقابهم
الطوفان .. »

وربما أثرت هذه الأسطورة أو غيرها على
المؤرخ العربي زكريا القزويني ، فقال لدى
ذكر بعلبك : « يستطيع المرء فيها رؤية قلعة
سليمان الحكيم ، التي أورثها من بعده ابراهيم ،
كما يستطيع مشاهدة هيكل (اليزا) . » ومهما كانت
الأساطير أو القصص التي تحاك عن المدينة ،
فهي تضيف على هذه المعالم الأثرية الرائعة المزيد
من الغموض والعراقة ، وتحلو بالسائح الى زيارتها ،
والوقوف على ما تبقى من معالمها .

تسمية بعلبك

يعتقد علماء الآثار ان أصل تسمية مدينة
بعلبك يعود الى عهد الفينيقيين . وذلك لأن كلمة
« بعل » تعني بالفينيقية « الشمس » ، وكلمة
« بك » تعني « مدينة » ، وهكذا يكون

تبدو من خلال أسوار قلعة بعلبك مباني المدينة الحديثة ، وقمم الجبال المكسوة بثلوج .



الآثار القليلة المتبقية من هيكل «جوبيتر» تعكس صورة واضحة عن مهارة الرومان في فن النحت والبناء .

وفيضانات ، وكوارث .. وكأنها تتحدى عوامل الحدثان . وهذه الآثار هي التي أسبغت على بعلبك شهرتها الحالية ، وجعلتها محط الأنظار ومقصد السواح والزوار . وأهم معالمها الباقية هي : القلعة ، وهيكل «جوبيتر» ، وهيكل «باخوس» ، وهيكل «فينوس» ، والآثار العربية .

القلعة

تقع القلعة في الجزء الغربي من المدينة . وهي عبارة عن أعمدة مستطيلة . طوها حوالي خمسين مترا . وعرضها حوالي احد عشر مترا . يليها فناء شبه مربع كان مسكنا لكهنة «جوبيتر» . فناء أكبر . يبلغ طوله ١١٧ مترا . وعرضه ١١٢ مترا ، يعرف باسم «هيكل الذبيحة» .

الميلاد ، واستولوا على بعلبك ، أحاطوها بكثير من الرعاية والعناية ، فبنوا فيها الهياكل والمعابد والمسارح بشكل أكثر اتقاناً من آثارهم العمرانية في روما نفسها .

وفي عهد الامبراطور «أوغسطس» . أطلق على بعلبك اسم «هليوبوليس» (مدينة الشمس) بعد أن أحالها الى مستعمرة رومانية . وعندما اعتنق الامبراطور قسطنطين المسيحية ، أنشأ في قلب هيكل الشمس كندراثة ، ظلت قائمة حتى جاء «جوليان» وأمر بهدمها . وفي عام ٦٣٤م فتحها العرب فشيّدوا فيها مسجدا كبيرا ، ومدرسة محاذية له . ومنذ ذلك الحين تحولت هياكل بعلبك الى قلعة عظيمة .

ان معظم معالم بعلبك لا تزال آثارها قائمة في شموخ رغم ما شهدته من حرائق ، وزلازل .

اللقب الغالب على بعلبك «مدينة الشمس» ما هو الا ترجمة حرفية لتسميتها الفينيقية . ولعل ما يزيد في صحة هذا القول اطلاق الرومان عليها اسم «هليوبوليس» الذي يعني أيضا مدينة الشمس . لا سيما وان صورة عديدة للشمس تظهر محفورة على بعض الهياكل .

بعلبك الفرس

اذا عدنا الى التاريخ وقلبنا صفحاته بحثا عن بعلبك . وجدنا أن أول فاتح وطئت قدماه أرضها هو اسكندر المقدوني أثناء مطاردته «داريوس» ملك الفرس وبعد وفاته استولى عليها البطالسة ، وجعلوا منها مركزا اداريا . وعندما احتل الرومان لبنان وسوريا حوالي عام ٦٣ قبل

أقيمت في وسطه الكندرامية ، التي سبق ذكرها ، والتي هدمها «جوليان» فيما بعد . ويدخل الزائر إليها اليوم من باب كان العرب قد أغلقوه في العهود الغابرة زيادة في التحصين ، كما أنشأوا حوله بعض المباني والمنشآت الدفاعية .

هيكـل جـوبيـتر

بقي هذا الهيكل تحت الانشاء من عام ١٠ قبل الميلاد حتى عام ٢٤٩ ميلادية . وقد شيد على قاعدة ضخمة تعلو المباني المجاورة بنحو سبعة أمتار ونصف المتر ، وتشرف على البساتين القريبة من علو يبلغ ١٣ مترا . ويشغل المعبد الأكبر من الهيكل رقعة مستطيلة من الأرض يبلغ طولها نحو ٨٨ مترا ، وعرضها ٤٧ مترا . ويحيط بالمعبد باب كبير قائم على ٥٤ عمودا ، كل عمود منها مكون من ثلاثة أحجار كلسية تربط أطرافها ببعضها البعض نواة من الحديد أو البرونز ، ويبلغ ارتفاع هذه الأعمدة من القاعدة الى القمة حوالي ٢٠ مترا ، وقطرها ٢,٢٠ من المتر ، وتعلوها قناطر حجرية تزدان بنقوش وزخارف تمثل ثيرانا وأسودا . غير أن معظم هذه الأعمدة قد تهدم بفعل العوامل الطبيعية والغزوات البشرية التي كانت تغير عليها طمعا في ثرواتها المعدنية ، ولم يبق منها سوى ستة أعمدة . أما الدرج المؤدي الى هيكل «جوبيتر» ، فيبلغ عرضه حوالي ٤٠ مترا ، وهو مبني على ثلاث مراحل مختلفة . ويحيط بثلاث جهات من الهيكل دكات مبنية من حجارة ضخمة ، منها ثلاثة يزن كل منها حوالي ٨٠٠ طن . فاذا ما تصورنا انه لم يكن لدى البناء الأوائل سوى معدات يدوية بسيطة ، استطعنا أن ندرك مدى الجهود الجبارة التي بذلت في نقل الحجارة والبناء .

هيكـل جـوبيـتر

لعل أكثر ما يعبر عن روعة الفن المعماري وجمال التنسيق الهندسي في قلعة بعلبك عامة ، وفي هيكل «باخوس» خاصة ، تعليق السير «مور تيمر هويلر» أحد مشاهير علماء الآثار لدى زيارته لبعلبك ، حيث قال : «ان تيجان الأعمدة هي التي أعطت فن العمارة الروماني عظمته . فالهيكل الصغير «هيكل باخوس» ، كما كان يدعى في بعلبك ، يفوق «البثون» في روما ضخامة وعظمة ، وذلك لأنه ، ككل

معظم المباني التي كانت في بعلبك أمست ركاما من الحجارة يبكي عظمتها الغابرة



يعتبر هيكل «باخوس» من أكثر الآثار الباقية تكاملا في قلعة بعلبك ، إذ لا يزال ٢١ عمودا من عواميده واقفا متماسكا .



الساحة الجنوبية من هيكل « باخوس » .

تدل على انها شيدت في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي ، ومن خلفه في الحكم .
والمبنى الرئيسي الذي خلفه العرب داخل هياكل بعلبك هو الحصن القائم على مقربة من المدرج المؤدي الى هيكل « باخوس » . فقد كان مكونا في الأساس من ثلاثة أدوار ، بقي منها حتى الآن دوران .
.. تدخل الحصن عبر بوابة مخروطية الشكل . فتجد أمامك حائطا يحتوي في الجزء الشمالي

السكان وظلت مهجورة منذ ذلك الحين . ويعتقد علماء الآثار أن العرب هم أول من استخدم هياكل بعلبك كقلعة حربية . على أن هنالك فئة تخالف هذا الرأي وترى أن البيزنطيين خلال فترة استيلائهم على بعلبك بدأوا بتحويلها الى قلعة . أما الحصون التي ما زالت قائمة في هياكل بعلبك ، فتعود الى عهد أحدث من العهد البيزنطي . وتؤكد صحة ذلك الكتابات والنقوش التي تحملها والتي

أجزاء قلعة بعلبك . لا يدين بشيء مسن صموده الى الاسمنت . وقلعة بعلبك ، علاوة على ذلك ، تقوم على أكبر قطع من الحجارة في العالم . وبعض أعمدتها تفصل غيرها من الآثار العربية علوا وارتفاعا .

ولا يزال هيكل « باخوس » محتفظا بمعظم صفاته ومعاله . ويرقى اليه بدرج مكون من ٣٣ درجة يقضي الى المدخل الرئيسي الذي يعتبر من أعظم المداخل الأثرية وأفخمها . اذ يبلغ علوه ثلاثة عشر مترا ، وعرضه سبعة أمتار ونصف المتر . وقد نحت اطوار هذا المدخل نحتا فنيا رائعا ينطق بالروعة والجمال . ففيه تشاهد سنابل القمح وفروع نباتات مختلفة ، كالسليج والزيتون . ويكفل الهيكل رقعة طولها ٣٣ مترا وعرضها عشرون مترا . وسقفه مزخرف برسوم ونقوش رومانية . من ضمنها رسم « لباخوس » الذي يحمل الهيكل اسمه . وتحيط بالهيكل شرفة قائمة على ٥٠ عمودا علوها من القاعدة حتى القمة ١٩ مترا .

على مسافة ٢٠٠ متر من القلعة (الأكربول) يقوم هيكل « فينوس الصغير » ، وهو يختلف عن بقية هياكل بعلبك بأنه مستدير . وقد حول هذا الهيكل في عهد الامبراطور « قسطنطين » الى معبد . ثم لما تولى الامبراطور « ثودوسيوس » الحكم ، أمر بهدم معابد بعلبك الوثنية وغيرها عبر الامبراطورية الرومانية بأسرها .

وبعد استيلاء العرب المسلمين على بعلبك استخدموها كقلعة حربية ، فبنوا فيها الأبراج ذات الفتحات اللولبية ، وأنشأوا في المواقع القليلة التحصين منها المتاريس والأسوار والكوا . مستخدمين في ذلك الحجارة الضخمة . وقد اشتهرت أعمالهم هذه بالتناسق والدقة الفنية . كما حفروا حول أسوار القلعة خنادق عميقة ، تجعل من بعلبك حصنا منيعا يصعب اقتحامه . كذلك بنوا داخل أسوارها جوامع ، وبيوت ، وحمامات ، وأفرازا ، ومدارس ، واسطبلات ، وحفروا آبارا عميقة للماء .

وظل العرب يقطنون قلعة بعلبك حتى منتصف القرن الثامن عشر عندما تعرضت لزلزال عنيف قوس بكثير من منشآتها ومبانيها ، فهجرها

والأثر العربي الآخر الذي ما زالت بعض معالمه قائمة . هو الجامع الكبير الواقع في الشمال الشرقي من هيكل « فينوس » ، والذي أصبح الآن مجموعة من الخرائب تحيط بها ثلاثة صفوف من الأعمدة ، يقال انها أخذت من أسوار الهياكل . ويعتقد بعض سكان المنطقة ان هذا الجامع كان في الأصل كنيسة ، ثم حوله العرب فيما بعد الى جامع . أما في العصور الوسطى فقد كانت القاعة الكبرى من الجامع تستعمل كمدرسة حيث كان الأساتذة والعلماء يدرسون القانون للطلاب الوافدين من مختلف الأنحاء . وفي وسط القاعة الكبرى بركة مربعة الشكل ، تقوم على أربعة أعمدة من الرخام الثمين . أما في الركن الشمالي الجنوبي من القاعة فتوجد بقايا مثذنة ، كان الجزء الأدنى منها مربع الشكل والأعلى مشمتا .

هذا وتحمل جدران الجامع الكثير من النقوش والكتابات العربية المنمقة .

عبد المولى

والآن بعد ان زالت المكانة التي كانت تتمتع بها بعلبك ، وبعد أن ضعفت أهميتها كمرکز تجاري وسط بين السواحل اللبنانية والسورية ، أصبحت اليوم قرية زراعية هادئة يعيش سكانها ، البالغ تعدادهم حوالي ٨٠٠٠ نسمة ، على نتاج مزارعهم من خضار وفاكهة ، وعلى ما يبيعونه من صناعات يدوية محلية للسواح والزائرين . على أن مديرية الآثار اللبنانية ، في سبيل إعادة معجد الفن المسرحي الذي عاشته بعلبك في العهد الروماني ، تعتمد في صيف كل عام الى إقامة مهرجانات شعبية على المدرج الروماني الشهير لاجتذاب المزيد من السواح اليها ولإعادة النشاط التجاري الى أسواقها .

ان من يزور بعلبك في الصيف يستطيع أن يقضي نهرا ممتعا في زيارة الآثار التاريخية الرائعة ، وامتية شيقة في مشاهدة إحدى حلقات تلك المهرجانات الشعبية حيث ترد جدران القلعة النغم والإيقاع ، وحيث تنبعث من خلف حجارة الهياكل وخرائبها الأنوار المختلفة الألوان والأشكال ، فتضفي على تلك الاحتفالات جوا شاعريا حالمًا يزيد روعة وبهجة وفتنة وجمالا .

عصا العماد



انقراض أروقة وأقباء وجدران عفا عليها الزمن هي كل ما تبقى من حصون بعلبك . تصوير : خليل أبو نصر

وفي شمالي المدخل الرئيسي يقع الباب المؤدي الى الدور الثاني المكون من أربع غرف ، يصل بينها ممران . وثلاث من هذه الغرف فقط ذات فتحات لولبية ، أما الرابعة ، وهي الواقعة الى يمين المدخل ، فصغيرة مصمتة ، ليس فيها أية فتحة ، ويعتقد انها كانت سجنًا . أما الدور الثالث الذي كانت تحيط به المتاريس ، فقد تهدم نهائيا ولا يعرف شيء عن تكوينه الأساسي .

منه على باب يفضي الى الدور الأرضي . وإذا تركت الباب الشمالي جانبا ، وصعدت درجا لا يزيد عرضه على متر واحد تقريبا ، أفضى بك الى الطابق الثاني ، فالثالث حيث المتاريس التي كان حماة القلعة يحاربون الأعداء منها ، ويؤمنونهم بمختلف أنواع القذائف . ويتألف الدور الأول من الحصن من ثلاث غرف ذات فتحات لولبية في الجدران ، ومن أربعة ممرات .

الفتوة

ومدى سلطات الدولة في تعيينه ونظرية التعسف في استعمال الحق في الشريعة الإسلامية

نحضع لتعديل والتغيير من وقت لآخر هذه الصيغة التي اتسم بها التشريع الإسلامي اقتضت أن تكون قواعده ونصوصه مرنة وعامة . بحيث تتسع لحاجات الجماعة مهما طالت الأزمان وتطورت الجماعة . واقتضت أيضا أن تكون بحيث لا يمكن أن تتأخر عن مستوى الجماعة في أي وقت أو عصر . وقد أخذت دراسة الفقه الإسلامي طابعين متميزين

الأول : اقتصر على الشريعة الإسلامية ذاتها . أي في محيطها فحسب .. في مذهب منها . أو على مذاهبها جميعا . وقد عني بهذا اللون من الدراسات أولئك الذين اقتصرت دراساتهم على مود الشريعة في كليات الشريعة والأصول

والثاني : كان في ضوء القانون المقارن . وكانت تلك الدراسات . ولا زالت . تحظى بالعناية . وتحتل الصدارة لا في كليات الحقوق . بل وفي كليات الشريعة والأصول ليس في جامعات عالمنا العربي أو الإسلامي فحسب . بل في كل جامعات الشرق والغرب . وفي مقدمتها جامعة باريس .

وبين الوقت والوقت تطالعنا دور النشر والمكتبات بدراسات في الفقه الإسلامي لكاتبين من غير المتخصصين في علوم الشريعة والقانون . لا ترقى إلى مستوى البحث الأكاديمي أو العلمي الجاد . بل هي ليست دراسة . وإنما مجرد كلام عن

فقه الشريعة الإسلامية اليوم
يحمل أهمية خاصة بين الدراسات العلمية في مختلف جامعات الشرق والغرب بما لم يضارعه فيه أي فقه آخر . وقد أخذ الاتجاه في الغرب يزداد إلى دراسته . بعد أن تكشف لرجاله في مؤتمرات عديدة ما لمبادئ هذا الفقه من قيمة تشريعية عظيمة . وأيضاً لمدى ما تنطوي عليه قواعده ومذاهبه من ثروة في المفاهيم . دعت المؤتمرات في اسبوع الفقه الإسلامي الذي انعقد في باريس منذ حقبة إلى أن يوصوا بصلاحيه هذا التشريع لأن يكون مصدراً من مصادر القانون العام

على أن احتلال التشريع الإسلامي لهذه المكانة الراجعة . وتفوقه على ما عداه يكمن بحق فيما يمكن تلخيصه فيما يلي
أولاً : أن التشريع الإسلامي تشريع سماوي من صنع الله . وليس من صنع البشر ورغم أنه جاء لاحقاً للقانون فقد جاء من يوم نزوله بأحدث النظريات التي وصل إليها هذا القانون . وبأكثر مما وصل إليه .

ثانياً : أن قواعد الشريعة الإسلامية أنزلها الله لتنظيم شئون الجماعة . ولها صفة الديمومة . فهي أبدية لا تقبل التعديل . ثابتة لا تخضع للتقييد . بخلاف القواعد القانونية ذات الطبيعة الموقته . والتي

بقلم الأستاذ محمد عمر سعيد العامودي

الفقه الاسلامي ، وليس فيها الا جهد مقل ، ربما أتى على غير مقتضى الحال والصواب . ولا يفوتنا أن نشير ان هناك من الدراسات الأكاديمية التي ظهرت ما هو سطحي فج ، لا يرقى هو الآخر الى مرتبة البحث الجدير بالاشادة بين الدراسات التي تحتل مكان الصدارة ويستحق مؤلفوها الثناء العطر والتقدير والاعجاب . ومن هذا النوع الأخير رسالة بين أيدينا جعل مؤلفها عنوانا لها « الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده » - ونظرية التعسف في استعمال الحق بين الشريعة والقانون . « وهي رسالة تقدم بها الأستاذ فتحي الدريني ، المدرس في كلية الشريعة والحقوق بجامعة دمشق ، الى كلية الشريعة بالجامعة الأزهرية ، ونال بها رتبة العالمية « الدكتوراه » .

وقد قدم لها فضيلة الشيخ طه الديناري ، عميد كلية القانون والشريعة بجامعة الأزهر ، وقال عنها : « لقد سلك المؤلف في بحثه هذا منهجا جديدا ، وأقامه على أساس من أصول الفقه الاسلامي وقواعده العامة ، فضلا عن الاستدلال بالكتاب العزيز ، والسنة المطهرة ، وفقه الصحابة عليهم رضوان الله ، واجتهادات أئمة المذاهب الفقهية جميعا . ولم يسبق لباحث - فيما رأيت - ان تناول هذا الموضوع الحيوي الخطير بهذه الأصالة والعمق . »

وفي مكان آخر من المقدمة يقول : « في اعتقادي ان هذا البحث فريد من نوعه ، ويعتبر فتحا جديدا للبحوث العلمية في الفقه الاسلامي منهجا وعمقا واصالة ، وأرى ان لا غنى لمراكز الثقافة الانسانية والاجتماعية والقانونية والسياسية في العالم عن الانتفاع به . »

وورد في تقرير اللجنة المؤلفة مسن قبل جامعة دمشق لفحص الانتاج العلمي ، والمؤلفة من الأساتذة يوسف العث ، عميد كلية الشريعة ، ومحمد المبارك ، رئيس قسم الفقه الاسلامي وقسم العقائد والأديان في كلية الشريعة ، ومصطفى الزرقاء ، رئيس قسم القانون المدني والشريعة الاسلامية في كلية الحقوق ، وماجد الحلواني ، استاذ القانون المدني في كلية الحقوق ، ما يلي :

« ان هذه الرسالة تعتبر انتاجا علميا قيما ، فيه كثير من الابتكار ، وليس فيها - على سعتها - توسع بالاستطراد الى بحوث يتضخم بها الحجم دون صلة جوهرية بالموضوع ، كما يرى أحيانا

في رسائل أخرى . وقد ملأت هذه الرسالة فراغا كبيرا كان يلحظ في هذا الموضوع الهام كلما كتب فيه كاتب أو حاضر فيه محاضر ، لأنها أحاطت واستقصت أطراف البحث المتشعبة ، التي كانت زوايا مغلقة ، ففتح الدكتور فتحي اغلاقها ، ونشأ ما بينها من أسس وقواعد ، وعرضها عرضا وافيا متناسقا ، فقامت نظرية كاملة ، فسرت احكام الفقه الاسلامي في كثير من مقرراته غير المفسرة ، وبينت قابلياته غير المحدودة لامداد العصور بالتشريع الوافي بالحاجات المتطورة ، ورسمت الطريق السوي للقضاء العادل في ظل الفقه الاسلامي . »

وقد الرسالة في ٥٧٧ صفحة من الحجم الكبير ، بالاضافة الى ثبت المراجع ، وفهرس تحليلي للموضوعات . وقد قسمها مؤلفها الى قسمين ، يبحث الأول - كما يقول - في أعظم معضلة عرفها العالم في القانون والسياسة والاقتصاد ، وهي فكرة الحق وطبيعته ، بحثا علميا مقارنا في أصول الفقه الاسلامي والفقه الوضعي وتشريعاته في معظم دول العالم ، ويبين بجلاء موقف الشريعة الاسلامية من هذه الفكرة التي تعتبر مدار الصراع المحتدم في عصرنا الحاضر بين الشرق والغرب .

ويبحث الثاني بحثا علميا مقارنا نظرية التعسف في الشريعة الاسلامية والفقه الوضعي وتشريعاته في معظم دول العالم ، مبينا الدستور الذي يحكم مباشرة الحقوق بما يحقق حرية الفرد ومصصلحة الجماعة

وفي القسم الأول من الرسالة قدم المؤلف دراسة عن الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده في اطار الفقه الاسلامي ، ليتهي الى رسم نظرية عامة للحق ، مصدره ، وطبيعته ، ومداه ، وغايته ، ثم الأصول العامة التي تحكم تنسيق الحقوق عند التعارض ، ليتاح من خلال هذه الدراسة مكانة كل من الفرد والمجتمع في هذا الفقه ، ومدى سلطان الدولة وتدخلها في حقوق الأفراد . ثم انتهى الى مقارنة ذلك بطبيعة الفقه القانوني في نظر أهم المذاهب الفردية والاجتماعية .

وقد أثر المؤلف البدء أولا ببحث فكرة الحق في المذاهب الفردية والاجتماعية ، فأورد فكرة الحق في المذهب الفردي ، ثم تكلم عن أصل الدولة ووظائفها ومدى تدخلها عند الفردين . ثم انتقل الى الحديث في فكرة الحق في مذهب التضامن الاجتماعي ، والى طبيعة

حق الملكية بين المذهبين الفردي والاجتماعي ، ومدى سلطان الدولة على الحقوق في هذا المذهب . وكما يتقده المؤلف المذهب الفردي ، باعتباره تصوير للانسان الفطري المنزول ، وهو لا وجود له في الواقع ، يتصدى للمذهب الاجتماعي باعتبار انه لا يقيم وزنا للمثل العليا .

وفي الفصل الثاني يتكلم المؤلف في مفهوم الحق في الفقه القانوني ، فيعرض عرضا مرتبا للمذاهب المختلفة في تعريف الحق .

ثم ينتقل في الفصل الثالث ليتكلم عن طبيعة الفقه الاسلامي وفكرة الحق فيه . وفيه يكشف عن حقيقة هذا الفقه ، فهو ليس مظهرا للإرادة الانسانية المتغيرة بما يثيرها من نوازع وأهواء ، أو صدى للعوامل الاقتصادية والاجتماعية ، تقصف بالقديم من اصوله لتقيمه على أسس جديدة مناقضة لسابقتها كتعبير موقوف لتطور تلك العوامل ، بل هو فقه يستند الى أصول تشريعية سماوية مستقرة في كتاب الله وسنة رسوله الكريم .

وفي الفصول التالية يتكلم المؤلف عن الفقه الاسلامي باعتباره فقها تقويميا ، لا تقريريا ، فهو مشرب بعناصر المثل العليا والكمال والفضيلة الانسانية ، وصلته بنظرية التعسف التي الخلقي تتجلى فيها الزعة الخلقية والاجتماعية في التشريع والحقوق التي تنقرر في ظله .

ثم يتكلم المؤلف عن مبدأ العدل المطلق في الفقه الاسلامي وصلته بنظرية التعسف ، ويؤكد هذا المبدأ من مصادره في الفقه الاسلامي ، كالاستحسان ، والاستصلاح ، وقاعدة سد

الذرائع والحيل . ويتكلم المؤلف في فصل من فصول هذا الباب عن واقعية الفقه الاسلامي ، وغايته في نظره الى الفرد والجماعة ، ونظرة الاسلام الى المال ، وفكرة الاستخلاف ، والوظيفة الاجتماعية للانسان فيه ، وما يتبع ذلك من مسئولية الفرد والجماعة .

كذلك يتكلم عن الحق والاباحة في الفقه الاسلامي . فيتكلم عن الفرق بين الاباحة والرخصة والحق . ويختتم هذا الباب بالكلام عن الأسس التي يستند عليها تقييد الحق في الفقه الاسلامي ، من قاعدة المصالح والتضامن ، وفكرة الخلافة الانسانية ، وصلة كل ذلك بنظرية التعسف .

اما الباب الثاني ، ففيه تكلم المؤلف عن أصل نظرية التعسف في الفقه الاسلامي .

ثم شرح لهذه النظرية عند الاصوليين ، وردھا الى فكرة المصلحة التي شرع الحق من أجلھا باعتبار أنه وسيلة وليس غاية . وقد كشف المؤلف في هذا الفصل ما يقع فيه الكثير من الباحثين عادة من الخلط بين فكرة التعسف وبين المجاوزة لحدود الحق .

ثم تكلم في أدلة النظرية من الكتاب والسنة وفقه الصحابة والأصول التشريعية والقواعد الفقهية . وفي فصول متتالية تناول معايير التعسف في نظر الفقه الاسلامي ، ومجال تطبيق نظرية التعسف ، وجزاء التعسف .

وفي الفصل الثالث قدم عرضا وافيا لنظرية التعسف في التشريعات الحديثة . وذلك فسي بحثين . تكلم في الأول منهما عن النظرية في القوانين الأجنبية . وبالأدات في القانون المدني الألماني . والقانون المدني السويسري الصادر في سنة ١٩٠٧ ، والقانون المدني البولوني . وعرض في البحث الثاني للنظرية في تقنينات البلاد العربية لكل من لبنان ومصر .

وقد تضمن هذا الفصل عرضا مقارنا للنظرية في القانون والشريعة ، وتطورات النظرية التاريخية من القانون الروماني الى القانون الفرنسي الصادر في سنة ١٨٠٤ .

وقد ورد في تقرير اللجنة المؤلفة من قبل جامعة دمشق لفحص الانتاج العلمي عن هذه الرسالة ما يلي :

ان المؤلف أبرز في خلال البحوث الآتفة الذكر أمورا هامة جدا في المقاييس التشريعية حول الفقه الاسلامي ، منها :

- ان فكرة الحق ثابتة ، وهي دعامة أساسية يدور عليها التنظيم التشريعي في الفقه الاسلامي .
- ان الحق ليس بذاته وظيفة اجتماعية ، وهذه الفكرة تترتب عليها نتائج هامة .
- ان الحق ذو طبيعة مزدوجة في نظر الفقه الاسلامي ، فليس فرديا محضا ، ولا جماعيا محضا ، بل يجمع بين الصفتين .
- ان مشروعية استعماله رهن باتجاهه نحو الغاية التي شرع كدين لتحقيقها .

• ان نظرية التعسف نظرية مشتقة لها كيان ذاتي خاص ، وليست تبعا أو تطبيقا لنظرية أخرى كالتعدي أو الخطأ المولد للمسئولية التقصيرية .

• ان معايير نظرية التعسف في الفقه الاسلامي أبسر تطبيقا في القضاء وأكثر تحقيقا للعدل . وبعد ، فإذا كان من السهل على القارئ أن ينتقد عادة ، فإن هذه الرسالة من المؤلفات التي تستعصي على النقد ، أو تكاد .

استدراك

ذكر في العدد الماضي ضمن مقال « ارامكو عام ١٩٦٧ » أن الشركة انفقت في هذا العام ١٤٠٨٥٠٠٠ ريال سعودي على بناء ثلاثين مدرسة تابعة للحكومة . والصحيح أن هذا المبلغ انفق على تشغيل هذه المدارس وصيانتها فقط .



في وصف العصا من تراب العرب محمد بن عبد الله تعالى على ما نزلت فيه

جاء اعرابي الى عبد الملك بن مروان . فقال له عبد الملك : تكلم بحاجتك يا اعرابي : قال الأعرابي : يا أمير المؤمنين ، جلال الدرجة وهيبة الخلافة يمنعانني من ذلك . فقال عبد الملك : على رسلك يا أعرابي ، فانا لا نحب مدح المشاهدة ولا تركية اللقاء . قال الأعرابي : أنا لست أمدحك يا أمير المؤمنين ولا أركبك ، ولكنني أحمد الله تعالى على النعمة فيك .

رب كلمة جليظة فمحة . وكلمة جريئة فمحة

دخل التابعة على النعمان بن المنذر فقال : تخف الأرض أن تفقدك يوما وتبقى ما بقيت بها ثقيلًا فنظر اليه النعمان نظر الغضبان ، وكان كعب ابن زهير حاضرا فقال : أصلى الله الملك ، ان مع هذا البيت بيتا ضل عنه ، هو : لأنك موضع القسطاس منها فتضع جانبيها أن تميلًا فضحك النعمان ، وأمر له بجائزتين .

لقي الحجاج اعرابيا فقال له : من أين أقبلت ؟ قال من البادية . قال : وما بيدك ؟ قال عصا أركزها لصلاتي وأعدھا لعداتي ، وأسوق بها دابتي ، وأقوى بها على سفري ، وأعتمد بها على مشيبي ليتسع بها خطوي ، وأبث بها النهر فتومنتي ، وألقي عليها كسائي فيسترني من الحر ويقيني من القرم ، وتدني ما بعد مني ، وهي محمل سفرتي ، وعلاقة أدواني ، ومشجب ثيابي ، وأعتمد بها عند الضراب ، وأفرع بها على الأبواب ، وأنقي بها عقور الكلاب ، تنوب عن الرمح في الطعان . وعن الحراب عند منازلة الأقران . ورثتها عن أبيي ، وأورثها بعدي ابني ، وأهش بها على غنمي ، ولي فيها مأرب أخرى كثيرة لا تحصى .

حسن البيان يستوجب الذم

دخلت أعرابية على عبد الله بن أبي بكر بالبصرة بين السماطين وقالت : أصلى الله الأمير وامتنع به ، حدثنا اليك سنة استند بلاؤها وانكشف

الطائف

للشاعر انور العطار

ان بدا برعم تلتته براءـــــــــم
وما الروض غير روح حالـــــــــم
كان الربيع محل موائـــــــــم
وما مدمع الهيام الساجـــــــــم
وابتسام ينسبك حمن المباســـــــــم

بأفانين من خيال فاعـــــــــم
حانيات على غصون هوائـــــــــم
وطف بالحمى الأليف الملائـــــــــم
وأحياء في جفون الكمائـــــــــم
صحاحا وهي السواهي السواهـــــــــم
اذا عل من دموع الغمائـــــــــم
كاللالي فرائـــــــــدا وتوائـــــــــم
وتفتر عن ثغور بواســـــــــم

كالرحيق المجـــــــــود المتقادم
وما الشعر غير دمع المراحـــــــــم
وما عرفه الذكسي الغاغـــــــــم
ونوهت بالخبيب الظالمـــــــــم
فبالفاظك الرقاق المراهـــــــــم
فيا موما شأوت الموائـــــــــم
أنت رمز العسلا وسر العزائـــــــــم

من فؤاد على ربوعك حانـــــــــم
حبي الحب فهو شغل دائـــــــــم
ان للشوق في العيون علائـــــــــم

حي في الطائف الربيع الدائم
هو في الروض زينة تغلب اللب
وهو في القلب فرحة تغمر القلب
يا أمير الربا ويا شاعر الدوح
أنت في الفكر جدول يتندى

حي في الطائف الربيع الموثى
بضروب من الشاربير هيمي
حي في الطائف الأناقة والطف
بلد الزهر جل من أبدع الزهر
تترأى عيون نرجسه النفس
وتلوح الخدود في نفرة السورد
وثمار النعيم رف منهاهـــــــــا
يا لها روضة تتيه على الروض

حي في الطائف البيان المصفى
بلد الشعر عز من علم الشعر
يا لسان الهوى اذا عني بالقول
أنت صورته وبينت مغسزاه
ان تشكى جراحه داميـــــــــات
أو تنهى الربيع كنت يد الخصب
أنت حادي العصور وهي توالى

يا مصيف الهوى عليك سلام
شغل القلب منك حب قديم
فاقرأ الشوق في عيون القوافي



لقاء مع لفيف من أدباء العاصمة وسعراؤها في ندوة حول:

الشعر بين المضمون والقالب

الرفاعي بأريحيته ودمائته ، وحديث الشعر بأنه
ورقة يصفيان على المكان بهاء ورونقا .. وكانت
هذه الندوة .

حصرات الأدباء ، هل استمر حقا يوم ربيع
من ألوان التعبير الأدبي ؟

حسن عبدالله القرشي : في رأيي أن الشعر هو
أرفع ألوان التعبير الأدبي اطلاقا ، لأنه يصور
نبضات النفس الانسانية بصدق وحرارة وانفعال ،
ولأن الشاعر اذ يصور مشاعره فانما يعبر عن
مشاعر الآخرين .

عبد الله بن ادريس : انني متفق مع الأستاذ القرشي
على أن الشعر هو أرفع ألوان التعبير عند العرب ،
لكن قوله بأن الشاعر عندما يعبر عن نفسه انما يعبر
عن مشاعر الآخرين ضرب من التعميم لا ينطبق
على جميع الشعراء . فالشاعر الذي يتفعل بالتجربة
المعاشة ، هو الذي يعبر عن مشاعره وعن مشاعر
الآخرين ، بينما الشاعر الذي يفتعل التجربة لا يعبر
الا عن نفسه ، وربما بشكل باهت ، بل نستطيع
أن نقول انه ربما يعجز حتى عن ذلك .

حسن عبدالله القرشي : في الحقيقة لسا مختلفين
في هذا ، لأن الشاعر الذي لا يصدر شعره عن
انفعال بالتجربة ، يكون فاقد لعنصر الصدق الفني ،
وهو بذلك لا يسلك في عداد من نقصد من الشعراء .
علي فدعني : نعم ، هو ذلك . انما يبدو لي أن
الأستاذ حسن متحمس للشعر أكثر من غيره .
فأنا اعتقد بأن النثر الفني والقصة هما كذلك لوان

ورب عدد من شعراء العاصمة وكتابها على
الالتقاء ليلة كل جمعة في بيت
الأديب الأستاذ عبد العزيز الرفاعي في مدينة الرياض ،
في ما يشبه الندوة الأدبية ، بل الصالون الأدبي
يحتفون فيه بتناج جديد لأحدهم فيقيمونه وينتقدونه ،
أو يطرحون على بساط البحث قضية أدبية مهمة ،
أو يكملون نقاشا لم ينهوه في ندوة سابقة ، فيوثقون
بذلك روابط الألفة فيما بينهم ، ويكونون على
اتصال دائم بدنيا الكلمة الجميلة الموجهة ، التي
تعطي للأديب لحيته الفريدة وللعمل الأدبي سمته
المميزة ، ويشاركون بالتالي في اغناء الحركة الأدبية
العربية ، ودفعها الى الأمام بالجهود الصادقة والأمانى
الكبيرة .

وفي ليلة جمعة ، وتمشيا مع ما درجت عليه
« قافلة الزيت » من عقد ندوات جادة في مختلف
مناطق المملكة ، ونشرها تعميما للفائدة ، أتيج لنا
أن نلتقي مع عدد من الأدباء في ندوتهم الدورية
تلك .. كانوا ثمانية ، هم : الدكتور فوزي
هناو ، والأستاذة عبد العزيز الرفاعي ، وعبد الله
ابن ادريس ، وحسن عبد الله القرشي ، وعلي حسن
فدعق ، وماجد أسعد الحسيني ، وأحمد طاشكندي ،
وعبد العزيز عبد الله الربيعي . وكان السيد خالد
نقشبند مستمعا ، كما انضم الى الندوة فيما بعد
الأستاذ أحمد عمر عباس . ولأن الندوة ضمت أكثر
من شاعر ، ارتئي أن يكون الشعر موضوعها ،
فطرحنا أسئلة ، وأمادت مناقشات ، وكان الأستاذ



عبد الله بن ادريس : الشعر هو أرفع مستويات
التعبير الأدبي .



علي حسن فدعق : المفروض أن يكون نظم الشعر وفقاً للظروف وعلى مستوى الأحداث .

حسن عبد الله القرشي : اننا نتجنى على الشاعر عندما نطلب منه أن يصور ما نمسه نحن من احساسات ، لا ما يمسه هو ذاته .

عبد العزيز الرفاعي : بالنقد الموضوعي الفعال يمكن تحقيق مستوى أفضل من حيث تذوق الشعر لدى جمهوره القراء .

والبلاغة والفصاحة وكثرها الخالد ، وباستثناء صحاح أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، لا يمكن للنثر أن يصل الى مستوى الشعر الحق ، مهما بلغ من السمو والرفعة .. ذلك لأن الشعر حصيلة الشعور والتجربة الصادقة تقدمها لنا قرائح الشعراء بعسيفاتها وبلاغتها وفصاحتها ومنازعتها كلا متكاملا ، بينما النثر قد يخلو من كل ذلك عدا الفصاحة والبلاغة ، الأمر الذي يقضي بوضعه في مرتبة أدنى . ولا يفوتنا أن نذكر أننا عندما نهتز لنثر جيد فريد ، متميز ، نهتف مستحسنين : « انه والله كالشعر ! » .

عبد العزيز الرفاعي : أنا لا أشك مطلقاً في أن الشعر هو أرفع ألوان التعبير الأدبي ، لأن الشعر معاناة فنية لا يتيسر مثلها لبقية ألوان التعبير الأدبي . فالشاعر الحق لا يمكن أن يصدر شعره الا عن مشاعر عميقة يتخير لها اللفظ الأنيق والاطر الجميل ، ويصطاد الأسيلة والأفكار البعيدة ليقدمها صورا فنية رائعة . أما فيما يتعلق بمسألة الخلوة ، فأنا أرى أن الشعر أعزل من النثر وأجرب على الألسنة وإن كان لي تعليق يسير على بعض ما سمعته ؛ إذ في قدرة بعض الانتاج الثري أن يسمو على الشعر ، ويكون ذلك في حالات نادرة لا تبطل التعميم .

هن للسادة الأدباء ان يتحدثوا الينا عن القصيدة

بإمكاننا أن نقول أن الشعر يعتبر من الأدب الرفيع ، ولو أن في طبيعة النثر ما هو رائع على صورة تتقدم على الشعر في كثير من الحالات . ماجد الحسيني : أوافق على ما قاله الدكتور هنانو ، وإذا كان الشعر يعبر عن التجربة بصدق ، ويمكس الانفعالات ، فذلك يجعله لوناً رفيعاً من ألوان التعبير الأدبي ، وفيما عدا ذلك - كما مر في بعض حقب التاريخ - فلا يمكن أن نعدّه الا نظماً ؛ وشأن ما بين النظم والشعر . عبد العزيز الربيعي : الشعر في رأيي ، أعزل من النثر ، وإذا رجعنا الى التاريخ وجدنا الدليل . أما الاختلاف حول ادراج العمل الشعري في ميدان الشعر أو علمه ، فإن المتنبي يقول في هذا المعنى : ان بعضاً ممن القريض هذا .

ليس شيئاً ، وبعضه احكام عبد الله بن ادريس : أنا أعالف الدكتور في أن هناك صفات من النثر يتجاوز مستوى الشعر ، فالشعر ، هو أرفع مستويات التعبير الأدبي . أحمد طاشكندى : أؤيد رأي الأستاذين القرشي وابن ادريس في أن الشعر هو أرفع ألوان الأدب ، بدليل أنني عندما أقرأ قصيدة ما ، أنفعل أكثر مما أقرأ أي مقال ، وبدليل أنني أحفظ بالقصائد الشعرية التي تجذبني ، وأعود إليها ، رغم اتجاهاى العلمى الاقتصادى من ناحية عملية .

* أؤيد الأستاذ طاشكندى فيما ذهب اليه ، فأنا أرى أنه ، باستثناء القرآن الكريم ، معجزة البيان

من أروع الألوان في تصوير المشاعر الانسانية ونقلها ، ورسم الانفعال بانطلاق لا تحد منه القيود الشعرية ، وخاصة الشعر العمودي . فربما يستطيع كاتب أن يعبر بمقال أو قصة عن تجربة ما ، بحيث يكون أعقق انفعالا ، وأجمل تعبيراً ، وذلك لتلاشي القيود . وينطبق هذا على المسرحية أيضاً ، وعصوفاً في الأدب الحديث . ولكني معكم في أن الشعر كان حقاً أروع ألوان التعبير الأدبي عند العرب ، وذلك يوم كانت له أسوالة ، ويوم كانت القبائل تفاخر بشعرائها أكثر من كتابها .

هل استنتجتم من يقوله الأستاذ فدعق ان الشعر عنصر حديق صلب يحمله جعته يردى الى مستوى الشعر او دونه ؟

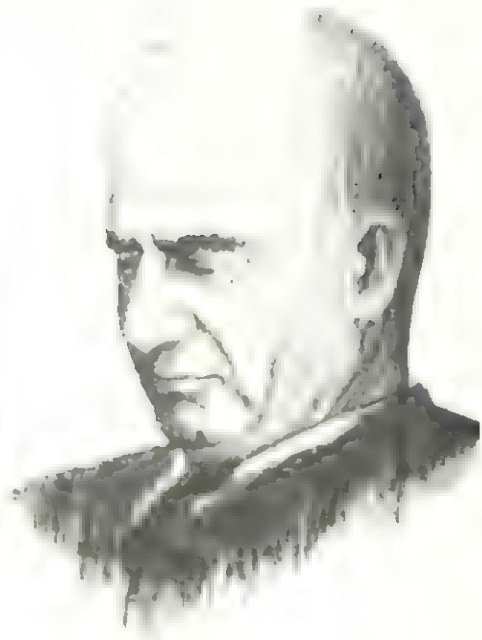
علي فدعق : لا .. لم يصب الشعر بنكسة ، ولكن لم يعد له ذلك التأثير على مشاعر الجماهير ، كما هو الحال في مقالة ، أو قصة ، أو مسرحية .. مثلاً . فوزي هنانو : الشعر في الواقع عبارة عن شعور كامن في النفس ، ولما كانت طبيعة الشاعر تستوجب أن يسبح أحياناً في خيال ، هو على بعده من واقعية الأشياء ، مفعم بحقائق لا تكهنية ، ولكنها ملهمة تأتي بالعجب العجائب ان هي صدرت عن روح قد ذكت فارها ، وكانت في البدء مختومة غير مشوبة بانطلاقات شعورية - لما كانت طبيعة الشاعر كذلك فان وجدانه الأصيل يأتي بالأفكار الرقيقة المنبثقة عن فطرة سليمة ، أكسبها جو المكان والظروف الزمنية حنكة وخبرة فائقتين . ولذا فانه



أحمد طاشكندي : القصيدة أقدر على التأثير في النفس من المقال أو القصة .



ماجد الحسيني : تقسم الصورة الشعرية الواضحة بصدق الانفعال الذي تولد عنه .



الدكتور فوزي هنانو : في طبيعة النثر ما هو رافع على صورة تتقدم على الشعر في بعض الحالات .

« أرى ما ارتآه الأستاذ القرشي أن القول بأن نظم الشاعر يجب أن يكون وفقا لظروف وأحداث الساعة ، يحتم على شعراء الأمة أن يتحولوا بحسبهم ووجدانهم في الظروف العصيبة الى الأحداث ليكونوا شاربها ومبرزيها ومصورها ، وأن يفتنوا جميع أبواب الشعر ما عدا ذلك في تلك الظروف .

ولأن الشعر شعور في أسى صورته وأعلى مراتبه ، مقولب بقلب من صور وظلال وأنغام ، فإن هذه الدعوة تقضي بأن نعطل إحساس الشعراء ولقدراهم التعبيرية من جملة نواح لنكرها في ناحية واحدة ، الأمر الذي يبدو وكأنه من باب الإلزام المفرط ، وذلك لأن الشاعر الصادق ، ضمير أمته ، سيعبر عن ظروف تلك الأمة حتما ، ولكنه لا يمكن أن يغفل ولو شعوريا - وبالتالي شعريا - أنه يحيا ، فيفرح ويحزن ويتألم ويسأم ويكابح ويتسامح .. الخ ، شأن كل الأحياء .

عبد العزيز الرفاعي : عودة الى القصيدة الحديثة ، أعتبر أن بعض الزعاعات التي سرت في شعرونا العربي مؤخرا « كالرمزية » ، والخروج عن القلب والشكل والفاقية مجرد بدع مقضي عليها بالقضاء . وأورد تدليلا على ذلك قصة تروى عن الشاعر الانجليزي « روبرت براوننج » ، إذ نظم مرة « قصيدة » دون أن يستعمل فيها الأفعال ، وجرى فيها على النهج الذي نراه الآن في شعر الرومانيين والشعراء المنحرفين عن القاعدة الشعرية . ومع أن الصحف احتفت بالقصيدة آنذاك ونشرتها نظرا لمكانة الشاعر ،

مثلا تثير في نفس القارئ الغيال الرقيق ، والقصيدة الحماسية أيضا تثير انفعالا آخر ، وهكذا . أما من حيث المضمون فإن المفروض هو أن يكون نظم الشعر وفقا لظروف وعلى مستوى الأحداث اليومية التي يتفاعل الشاعر معها .

عبد العزيز الرفاعي : يجب أن ينبع مضمون القصيدة من وجدان شاعرها . وأما القلب الشعري فيفترض فيه فنية الاداء وسلامته . فإذا كان الشاعر عموديا ، واستطاع أن يخلق بقصيدته ، فبورك به من شاعر . وإذا كان حديثا ، وأنا أشرت هنا ضرورة الاحتفاظ بالموسيقى الأدائية (التفعيلة) ، فإنا نرحب به وبطريقة أدائه .

حسن عبدالله القرشي : الشاعر فرد من بيئته . وبطبيعة كونه شاعرا ، لا يد وأن يتفعل مع الأحداث ، إنما ليس المفروض أن نجعل من الشاعر بوقا نطلب منه أن يصور ما نَحْسه نحن ، لا ما يحسه هو ذاته ، لأن ذلك تجن عليه . وأنا مثلا رغم أنني أرفض فكرة الضغط على الشاعر من الخارج ، أصدرت بحكم الأحداث التي تمر بها أمتنا ديواني « لن يضح الغد » تعبيرا عما تركته الأحداث في نفسي .

علي فدعق : إذن ، يتفق معي الأستاذ القرشي في أن انفعالاته كانت صدى للأحداث ، ولذلك أصدر ديوانه المذكور ، كما أصدر الشاعر أحمد قنديل ديوانه « نار » من وحيها أيضا . وهذا هو الطريق الذي يجدر بالشعر أن يسلكه في مثل هذه الظروف .

خلاف ، سواء أتى في صورة الشعر العمودي ، أو في صورة الشعر غير العمودي (شعر التفعيلة الواحدة) . فإذا أعطانا الشاعر تجربة نابضة في أحد هذين القلبين ، فلا أعتقد أنه من المستحسن أن نعزل نهجه الشعري . ويقول شوقي في هذا المعنى :

وكثير من الشعر العمودي يهزنا هزا عميقا ، كما تهزنا أيضا نماذج رائعة من الشعر الحديث .

عبدالله بن الحريس : أرى أنه يجدر بالقصيدة الحديثة أن تعبر عن مخالبات الانسان وأحاسيسه في معترك الحياة التي يحياها . هذا من حيث المضمون ، وأما من حيث الشكل فسيان عندي أكانت القصيدة عمودية أم كانت حرة ، ما دامت تعتمد على التفعيلة في أساسها الموسيقي .

أحمد عمر عباس : تعجبني القصيدة العمودية الزاخرة بالمعاني ، والتي تعلق بنا في أجواء تبعدنا عن الواقع اليومي . وهذا ، في رأيي ، من مميزات الشعر الحق . ان القصيدة الجميلة تؤدي نفس المفعول الذي تؤديه المقطوعة الموسيقية الجميلة .

علي فدعق : تتولف قيمة القصيدة مهما كان نوعها من حيث انتسابها الى الأدب الرفيع ، على مدى نقلها صورة إنسانية أو انفعالا خاصا ، سواء كان عاطفيا أو حماسيا أو غير ذلك . فالقصيدة الغزبية



عبد العزيز الربيعي : الرزمة ، والخروج عن
القلب والشكل والقافية مجرد بدع مقضي على بعضها
بالفناء .

فانه صرح في مقال نشره بعد ذلك بأنه تعمد عندما
نظم تلك القصيدة ، أن يعث ، إذ جردها من
كل فكرة يستند إليها أي عامل فني .. أي أنه
رعى ألفاظها الى جانب بعضها بلا معنى ولا مضمون .
وحسب زوجته ، وهي الأخرى شاعرة ، قالت له
حين قرأتها : « انني لا أدري يا عزيزي عم كنت
تحدث في قصيدتك تلك » (١)

أرجو أن يتكرم الأدباء الأفاضل باعطائنا فكرة
عن الصورة الشعرية من حيث مقومات تركيبها اللغوي
(الكلمة الشعرية) ؟

هاجد الحسيني : تتم الصورة الشعرية الواضحة
بصدق الانفعال الذي تولد عنه ، ويكون لتضلع
الشاعر لغويا وثقافيا كبير الأثر في نجاح تكوينها .
حسن عبد الله القرشي : يستطيع الشاعر المكتمل
الاداء أن يعطينا الصورة الشعرية بثوب قشيب من
الألفاظ المعبرة الموحية . وغالبا ما يتعد ادأؤه عن
الألفاظ الشعرية النافذة .

* كيف أذن نرقى بقرء الشعر الى مستوى الشعر
الحق ؟

عبد الله بن ادريس : بالتعليم والثقافة الواسعة .
احمد طاشكنددي : بأن تتولى الكليات والمعاهد
والمدارس الأدبية ، دراسة أصول الشعر واختيار
نماذج جيدة من مختلف مدارسه وتثبيتها في مناهجها .
وكذلك بأن تتولى وسائل الاعلام المختلفة تقديم
مختارات منه تجذب الجمهور اليه . ونتيجة لذلك
يمكن أن تعود العلاقة بين الشعر وجمهوره قوية متينة .
عبد العزيز الرفاعي : وبالإضافة الى ذلك تجنيد
النقد الموضوعي الفعال لتمييز الفث من السمين من
الشعر ، وبالتالي تحقيق وجود مستوى أفضل من
حيث تذوق الشعر لدى جمهوره القراء .

« هي مراحل نمو التجربة الشعرية ؟ »

هاجد الحسيني : مراحل نمو التجربة تبدأ بالاحساس ،
ثم التفاعل الناجم عن قوة ذلك الاحساس ، ثم تحزن
حتى يتم لها أن تظهر شعرا .

حسن عبد الله القرشي : عوامل الفرح والحزن والدهشة
والخيبة هي بواعث التجربة الشعرية في نفس الشاعر .
ومنظر طفل بائس ، أو امرأة تكل ، أو وردة جميلة
يولد في نفس الشاعر شرارة الشعر ووهجه ، فيبدأ
بتسجيل التجربة وأعطائها حقها في الحياة .

عبد الله بن ادريس : عندما يحس الشاعر بالتجربة
أو المنظر ، تتفاعل في مخيلته شتى الأحاسيس
والمشاعر ، فتولد في نفسه الطاقة الكامنة للتميز
عن هذه الأحاسيس .

عند هذا الحد ، وكان الحديث قد امتد طويلا
جادا ومرهقا ، أصبحت المناقشات ميالة الى الابتسار
والسرعة ، ولذا فقد أرثي أن تنهي ندوتنا هذه على
أمل أن تعود الى القراء في ندوات قادمة ، ان شاء الله .

عبد العزيز

عبد الله بن ادريس : أرى أن الصورة الشعرية يجب
أن تكون في القصيدة بكاملها بحيث أشعر وأنا
أقرأ القصيدة انني أزاء لوحة فنية بكامل ألوانها
وظلالها . وأنا لا أؤمن بأن هناك صورة شعرية
جزئية ، بل أؤمن بالصورة الشعرية المتكاملة .

الى ماذا يعزى تدفق دواوين شعر ، وتهدت
اشعراء على اصداقهم في العصر الحديث ؟

حسن عبد الله القرشي : أنا أحالفك بهذا الخصوص ،
اذ أننا لو قارنا الانتاج الشعري في العالم العربي
بالانتاج النثري ، لوجدنا أن النثر يبلغ أضعاف
أضعاف الشعر .

عبد الله بن ادريس : أرى أن الشعر راكد ،
وأحب أن أضيف أن الشعراء المحدثين أصبحوا
يقسمون شعرهم في دواوين صغيرة ، ليفرضوا بذلك
وجودهم على القراء عن طريق التكرار .

علي فدعق : ان سوق الشعر قد تكون رائجة .
ولكن الى أي حد يمكننا أن نعتبر ما ينشر غشا
أو سينا ؟

عبد العزيز الربيعي : غدا الشعر في الأعم الأغلب
تجارة ، ونجد الدليل على ذلك في كثرة ما تصدره
المطابع من دواوين . ويعزى ذلك الى أن بعض
الناشرين لا يقيمون الشعر بموازين دقيقة ، وإنما
يسعون الى الربح المادي ، ومثلهم بعض الشعراء
أيضا . الا أن هناك بعض الشعراء الذين لهم مكانة
فنية جيدة ، ولكن لأن القارئ العربي غدا راغبا
عن قراءة الكتب الكبيرة ، استطاع هؤلاء أن يستميلوه
الى قراءتهم بتقسيم شعرهم في مجموعات صغيرة
سهلة التناول .

عبد العزيز الرفاعي : يمكن أن أضيف شيئا آخر ،
وهو أن أسلوب الشعر الحديث سهل على الكثيرين
من غير الشعراء أن يصفوا الكلمات كيفما اتفق ،
ويطبعوها باسم الشعر الحديث .



كاتب المقال : هناك فرق كبير بين الالتزام ،
والالزام المفرط .

المجموع

سنة الف

استعمل آلات أخرى لمنتجات الزيت

الاستعمال الرئيسي لمنتجات الزيت



تربين السيارات



وقود التولاعات



كبروسين الثغانات



مذيبات الأصباغ



مبيدات الحشرات

التكبير



وقود الديزل



أدوية



نايلون



أصباغ خزفية



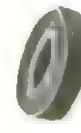
منظفات



مبيدات الأعشاب



لدائن



مطاط اصطناعي



أنسجة اصطناعية



ریت الوقود



شموع



ورق مشمع



ملبعات



مراهم وكريمات



أصباغ واقية



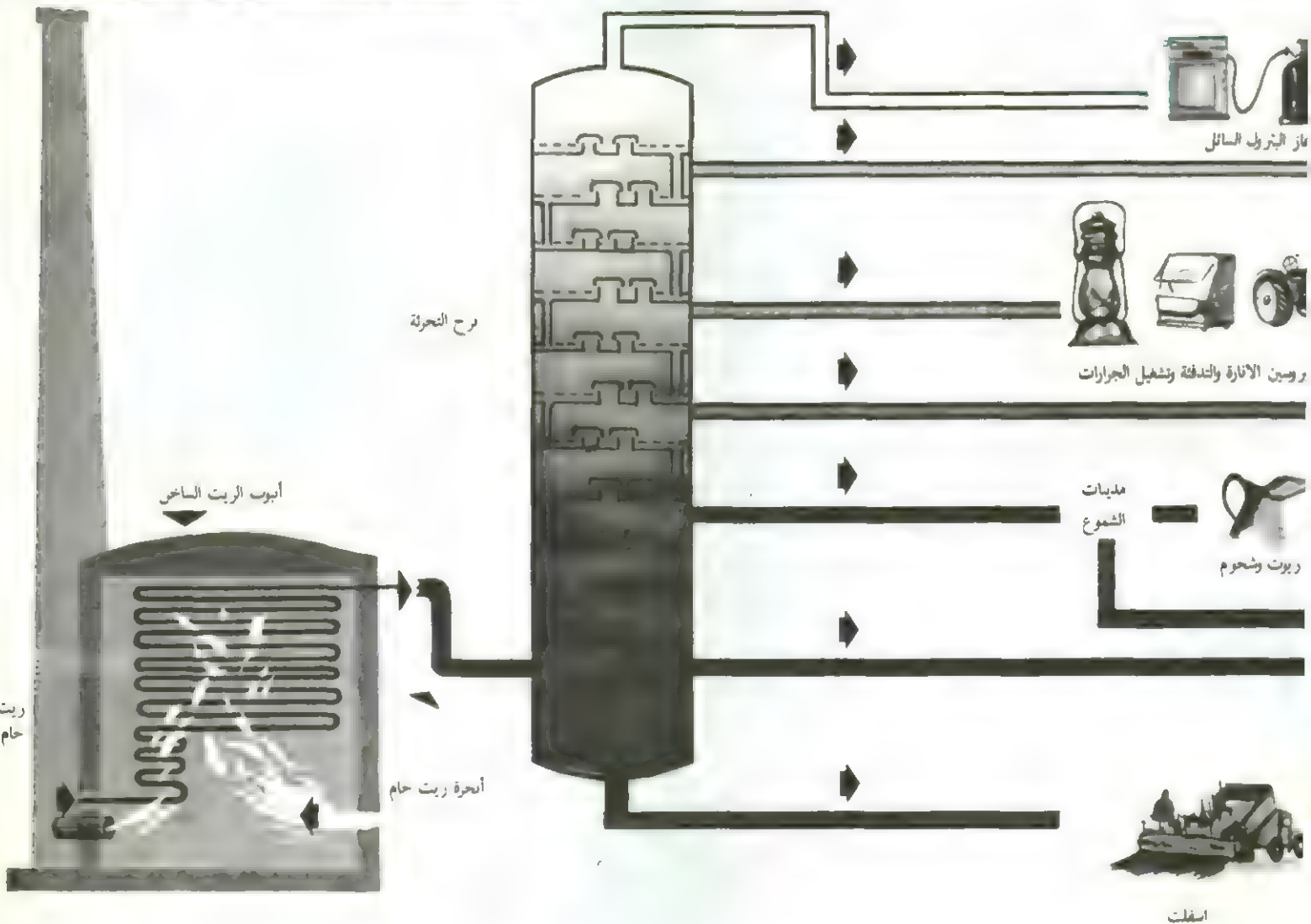
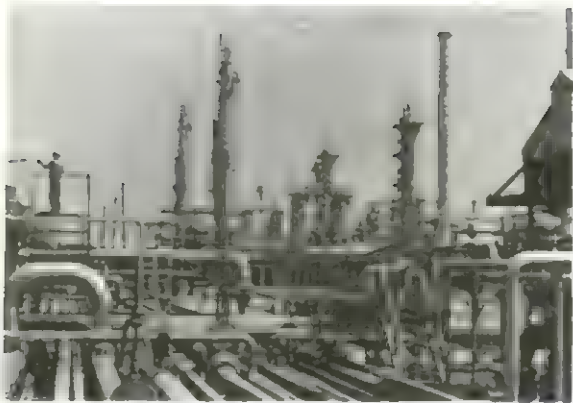
مواد وقائية للسقوف



مواد تغليف الأنابيب



مِزْنُ الْعِشْرِينَ



رسم يبين برج التقطير المقسم الى طبقات عديدة ، والخاص بفصل مواد الزيت بعضها عن بعض • والاستعمالات الرئيسية لها .

عرف الانسان النفط منذ فجر التاريخ ، غير أنه لم يحاول استغلاله على نطاق واسع الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . فقد أوضح علماء الآثار أن بناء المدن القديمة كانوا يستعملون القار في رصف الطرق ، وفي تثبيت طوب الأبنية وحجارتها . كما كان قدماء اليونان والرومان يستعملونه في طلاء عجلات عرباتهم .

ويرجع المؤرخون الى سفينة نوح ، عليه السلام ، قد بنيت من ألواح خشبية طليت من الداخل والخارج بالقار . كما يذكر أن شرفات حدائق بابل المعلقة كانت تطل به ، وأن الهنود الحمر والصينيين والمصريين القدماء استعملوا النفط كدواء يشربونه ، ويمسحون به على جروحهم . وأنهم كانوا يعبتونه في زجاجات خاصة ، لاستعماله في مثل تلك الأغراض .

وبالإضافة الى ذلك استخدم النفط لأغراض حربية ، فكانت السهام تغمس به ، لتنتلق فوق حوائط المدن المحاصرة ، فتمعن فيها حرقاً وتدميراً . وكذلك استخدم للإنارة ، بيد أنه كان يعتبر من الكماليات التي لا يقبل عليها الا عليّة القوم .

كان النفط في بعض المناطق يتسرب من باطن الأرض الى سطحها ، كما كان يطفو على سطح المجاري المائية . وفي منتصف القرن التاسع عشر كان يكشط من سطوح البرك وشواطئ البحيرات

في كثير من بلدان العالم ، ويصنع لاستخراج زيت صالح للإنارة منه ، وكان قد أنشئ حتى ذلك الوقت ما يقارب من خمسين معملًا لتصنيع البترول المتجمع بتلك الطريقة في الولايات المتحدة وحدها ، بالإضافة الى معامل مماثلة في كثير من بلدان أوروبا .

ثم أخذ الطلب على زيت المصباح يتزايد باستمرار ، مما دفع المعنيين بتصنيع البترول الخام الى الحصول على المزيد منه ، الا أن فكرة حفر بئر للوصول الى مصدر الزيت المتسرب الى السطح لم تخطر على بال أحد الا في أواخر العقد السادس من القرن الماضي ، فكان ذلك إيذاناً بمولد صناعة الزيت التي بدأت بعد ذلك تتوالى فصول قصتها فصلاً فصلاً ، فكان لها تأثير واضح في تطوير حياة الانسان ، وبناء صرح حضارته .

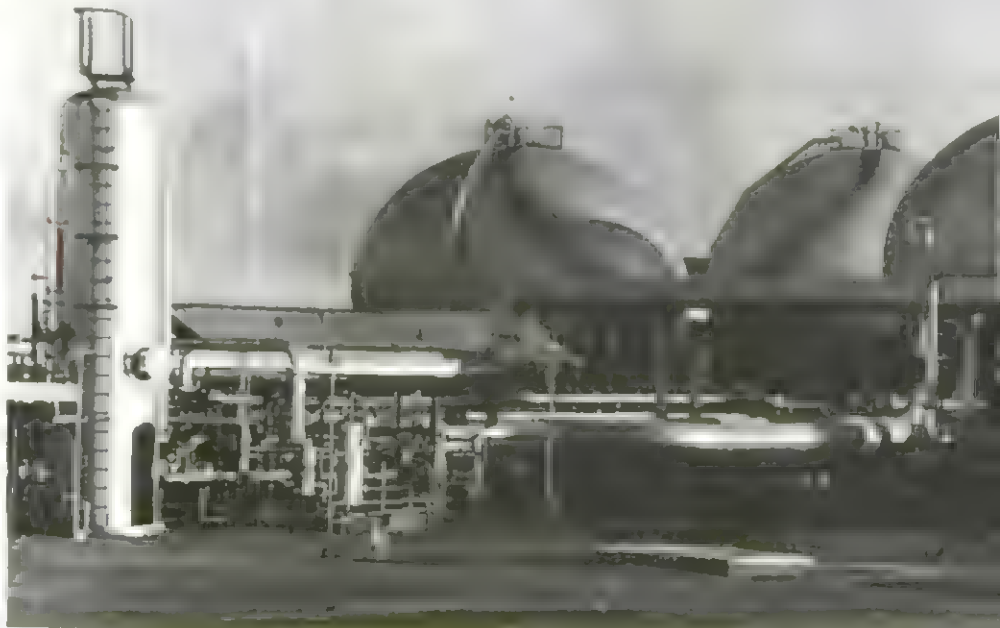
كان أول من أخرج فكرة حفر بئر للزيت الى حيز الوجود « ادوين دريك » الأمريكي ، وقد بدأ عمله في صناعة الزيت منذ أيامها الأول ، عندما أنيط به أمر تنظيم عمليات كشط البترول المتسرب أو الطافي فوق سطح الماء في حقول كان يملكها « جورج بيسل » ، أول أمريكي أنتج الكيروسين بكميات تجارية محدودة . فأخذ « دريك » يوسع الحفر التي يصب فيها الزيت ، ويبتكر حواجز جديدة للكشط أكثر فعالية مما كان يستخدم سابقاً . الا أنه ضاق ذرعاً بعمليات الكشط ذات الانتاج المنخفض ، وشرع يبنى

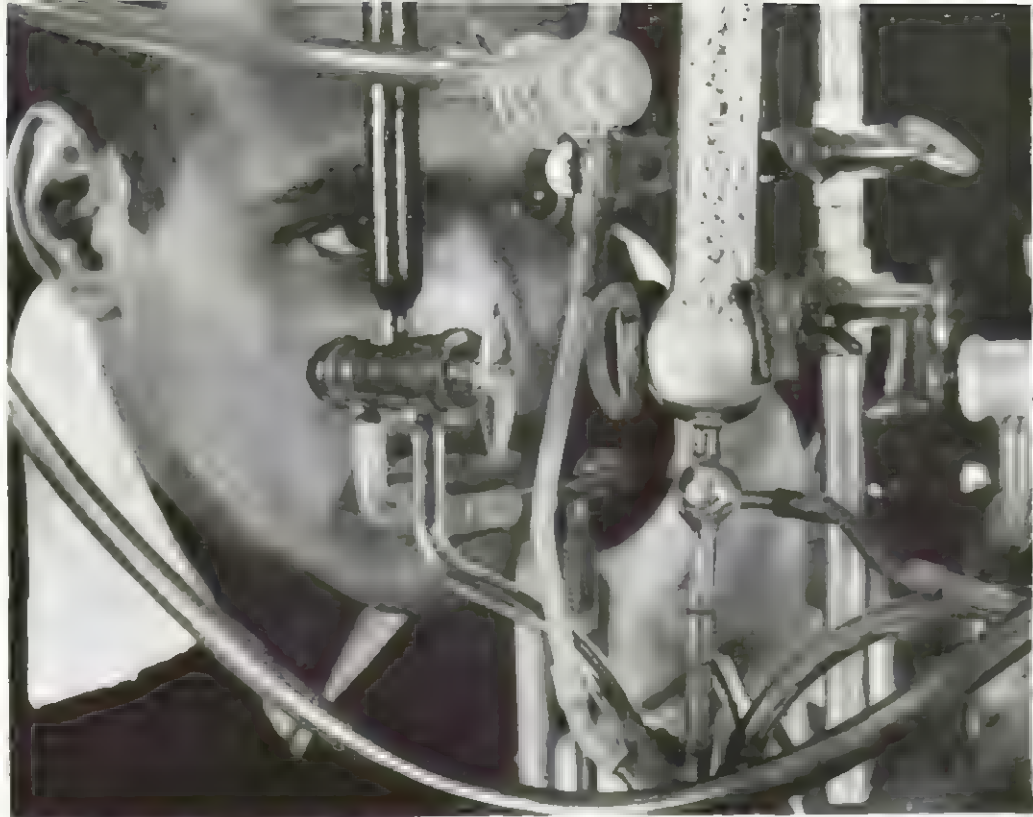
أول برج للحفر عرفه تاريخ هذه الصناعة المعقدة . صنع « دريك » برجه من الخشب ، وثبت في قمته من الداخل بكرة يدور حولها حبل يستعمل لرفع آلات الحفر وانزالها في البئر ، وكانت هذه الآلات تتألف من منجنيق للحفر يرتفع وينخفض بواسطة قضيب من الحديد ، يحركه محرك بخاري . كان الجهاز بسيطاً للغاية ، وقد أثار سخرية المعنيين بصناعة الزيت آنذاك ، الا أن « دريك » ظل مثابراً على عمله ، يحفر ، ويطن بئرهُ بالأنابيب خشية انهيار جدرانها ، الى أن توصل الى أحد المكامن البترولية على عمق ٢٠,٧ متراً ، وذلك في أغسطس عام ١٨٥٩م ، بعد أن قضى مدة شهرين متتاليين في عمل مضن متواصل . وعلى الرغم من أن انتاج تلك البئر كان يتراوح بين (١٥ و ٢٠) برميلاً كل يوم ، الا أنها كانت نقطة تحول واضحة في تاريخ صناعة الزيت . فقد نفتحت أخبارها في كل ناحية من الولايات المتحدة الأمريكية ، واندفع نتيجة لذلك رجال الزيت يحفرون آباراً مماثلة ، وانكب العلماء والمهندسون على تصميم معدات أفضل للحفر ، وتشكلت عشرات الشركات التي تعنى بالتنقيب عن الزيت واستخراجه . وتطورت أعمال التصفية ، فغدت معامل التكرير تعمل ليل نهار لإيجاد مشتقات مستحثة منه تواكب التقدم العلمي . ومدت خطوط الأنابيب لنقل الزيت من أماكن انتاجه الى أماكن شحنه ، كما بنيت ناقلات الزيت التي تحمله الى الأسواق العالمية . وهكذا أصبحت صناعة البترول من أهم الصناعات في القرن العشرين .

منتجات الزيت الخام

الزيت الخام سائل أسود اللون ، كربه الرائحة ، يكاد يتكون كلية من عنصري الأيدروجين والكربون . وهو يختلف باختلاف الحقول التي يستخرج منها ، فمنه المر ، الذي يحوي نسبة عالية من غاز كبريتيد الأيدروجين السام ، ومنه الحلو الذي يحوي نسبة ضئيلة جداً منه . والزيت الخام المستخرج من آبار الزيت لا يصلح للاستعمال دون تصنيع وتكرير . وتنقسم منتجات

جانب من أحد معامل فرز الغاز من الزيت التابعة لأرامكو في المملكة العربية السعودية ، حيث تتم أولى مراحل صناعة الزيت المعقدة .





أقل قدرة على التبخر والاشتعال من البنزين .
ويجب أن تكون درجة الأوكتان في الكيروسين
المستعمل وقودا في المحركات ، مرتفعة . أما
كيروسين الثقافات فيشتمل على نوعين مختلفين
يتميز أحدهما بدرجة تجمد منخفضة جدا ،
بينما يتميز الآخر باحتوائه على نسبة معينة من
البنزين . وهما يخضعان لمواصفات دقيقة ومقننة .
الديزل :

وتختلف أنواعه باختلاف المحركات التي
يستعمل فيها ، فالمحرك الصغير — الشديد السرعة
يتطلب نوعا من الديزل تكون درجة اشتعاله وقدرته
على التبخر عالىتين . أما المحركات المتوسطة
الحجم فتستخدم نوعا من الديزل تكون درجة
الأوكتان فيه منخفضة ، بينما تتطلب المحركات
الضخمة ، وهي بطيئة نسبيا ، نوعا من الديزل
أكثر لزوجة . ونسبة الكبريت في الديزل أعلى
منها في البنزين والكيروسين .

زيوت الوقود :

وتتألف مما يتخلف أثناء تقطير الزيت الخام
الذي ترتفع فيه نسبة الأسفلت ، وهي تصنع
عن طريق موافقة المواد المتخلفة وفقا لنسبة الزوجة .
وهي صعبة التبخر ، وتحوي ترسبات معدنية
كترسبات الصوديوم والكالسيوم والحديد والنيكل .
أوجه استعمال الوقود البترولي :

بدأ الوقود البترولي يحل بشكل مطرد في المنزل
محل الوقود الصلب . ويعود السبب في ذلك ،
بصورة رئيسية ، الى أن الوقود البترولي ذو قيمة
حرارية أعلى ، وبه يسهل تنظيم الحرارة وضبط
درجاتها بدقة ، ومعظم أنواعه يحترق احتراقا
كاملا دون أن يخلف رواسب أو يثير دخانا ،
كما أنه خلو من الكبريت الذي يسبب تآكلا
للأدوات المنزلية . ومواد الوقود البترولية التي تستعمل
في المنازل هي الكيروسين ، وغاز البترول السائل
الذي يأتي في أسطوانات فولاذية تتحمل الضغط
الشديد . وتستعمل هذه المواد في أغراض الطهو ،
والدفئة ، وتكييف الهواء ، وتشغيل التلاجات
والإضاءة بمصابيح خاصة ، وغير
ذلك .

وفي الأعمال الصناعية يستهلك المقدار
الأكبر من زيت الوقود في توليد البخار لانتاج
الطاقة الكهربائية وتسيير السفن والقاطرات ،
كما يستعمل وقودا في محركات السفن الكبيرة .
ويستعمل الغاز الطبيعي في تثبيت الطلاء بالحرارة ،
وقد أخذ مؤخرا يحل محل «الأسيتلين» في
أعمال قطع الفولاذ واللحام . وتقوم بعض المصانع

وتحسين أساليب حياتهم . وتنقسم أنواع الوقود
البترولي الى غازات وسوائل ، أهمها :

الغاز الطبيعي :

ويخرج من باطن الأرض ممزجا بالزيت ،
ويمكن استعماله في أوجه صناعية ومنزلية عديدة
بعد إزالة بعض عناصره غير المرغوب فيها ،
كالمركبات الكبريتية . ويتكون هذا الغاز من
الميثان والإيثان عند وصوله الى المستهلك .

غاز البترول السائل :

ويتكون من مواد أيدروكربونية غازية تسال
بالضغط الشديد ، وتنتج أثناء استخراج البنزين
من الزيت الخام في معامل التكرير . وهو ذو
أصناف مختلفة ، أهمها البروبان والبوتان
ومزيجهما .

البنزين :

ويشمل أنواع الوقود السائل القابل للتبخير
والاشتعال في محركات الاشتعال الشراري . وأهم
خصائص البنزين ، كوقود للمحركات ، وجود
الأوكتان فيه بدرجة معينة ، وتحوي جميع أنواعه
على رابع أثيل الرصاص أو رابع ميثيل الرصاص
لضبط درجة الأوكتان فيه .

الكيروسين :

ظل الكيروسين أهم منتجات البترول الى أن
أقصاه البنزين عن مكانته منذ ربع قرن أو يزيد .
ومع ذلك فإن الطلب عليه لا يزال كبيرا . كما
أن ظهور الطائرات النفاثة أدى الى زيادة
استهلاكه . والكيروسين سائل لا لون له ، وهو

تعرض منتجات الزيت لسلسلة
من الفحوص المخبرية للتأكد من
مطابقتها للمواصفات المطلوبة ،
والصورة لفي أحد مختبرات
أرامكو .

الزيت الى أربعة مواد رئيسية ، هي : مواد الوقود ،
ومواد التزييت والتشحيم ، والشموع ، ومركبات
الأسفلت . وتشتمل كل من هذه المواد على
أنواع عديدة ، تنفرد كل منها بخصائص تميزها .
وهذه تشمل بدورها عددا من المشتقات يجري
تصنيعها ومعالجتها ، بحيث يصلح كل منها
لاستعمال معين .

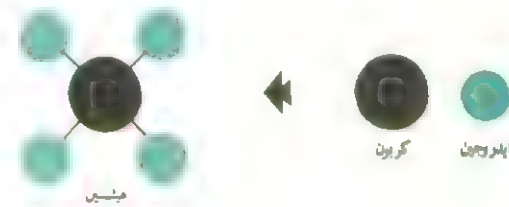
سواء الوقود

يستعمل معظم الزيت ، الذي ينتجه العالم
كوقود ، لتوليد القوة في المحركات ، أو لتوليد
الطاقة الحرارية أو النور في المصانع والمساكن .
وباستثناء حرارة الشمس يكاد العالم يعتمد على
مواد الوقود لتوليد ما يحتاج اليه من طاقة وحرارة .
وقد ظل الحطب والفحم ، لعدة قرون ، يشكلان
الوقود الرئيسي للعالم الى أن اكتشف الوقود البترولي ،
السائل أو الغازي ، فأحدث تطورا مهما في
حياة البشر اذ مكّنهم من صنع المحرك ذي
الاحتراق الداخلي وتطويّره ، وبالتالي من دفع
عجلة الصناعة بوجه عام الى الأمام لخدمتهم



منظر عام لوحدي التهذيب الحواري التابعين للمعمل التكرير في رأس تنورة ، وهما تقنولان مراحل تحسين مواصفات البزين لرفع درجة الاكتان فيه .

أصغر جزيء من جزيئات الزيت هو الميثان ، ويتألف من ذرة واحدة من الكربون وأربع ذرات من الهيدروجين . وهناك جزيئات تتكون من ٩٠ ذرة من ذرات الكربون و ١٨٢ ذرة من ذرات الهيدروجين ، كالاسفلت .



الاحتكاك في أجزاء الآلات المتحركة ، كما تستعمل لوقاية المعادن من التأكل ، وذلك بطلاء سطوحها بطبقة مناسبة منها ، تزال بواسطة مذيب كالكلوروسين عند الشروع في استعمال المعدن . وتستخدم مواد التزيت على نطاق واسع في المعدات الكهربائية كمواد مبردة أو عازلة . كما تستخدم في نقل الحرارة ، وذلك بتمرير الزيت الحار من السخانة الى الجزء المراد تسخينه بحرارته ، ثم اعادته الى السخانة من جديد . وفي التلجيات تخلط مواد التبريد كالنشاير ، وثاني أكسيد الكربون ، وثاني أكسيد الكبريت ، بالزيت لتفادي تجمدها . وهي مستعملة في قص المعادن وترقيقها ، وفي تصليد الفولاذ وتطويره وطرقه ، وذلك بتسخينه بواسطة حمامات من الزيت الحار ، ثم تبريده فجأة ، ثم اعادة تسخينه ، لضمان طواعيته . وقد أخذت مواد التزيت تحل محل الماء في الآلات الهيدروليكية ، وذلك للحيلولة دون تعرضها للمصدأ .

شموع البترول

وهي مواد صلبة ، تتكون من ايدروكربونات براقينية مختلفة التركيب ، وتنقسم الى صنفين رئيسيين . هما : الشموع البراقينية ، والشموع البلورية الدقيقة . وتتميز الأولى بتركيب بلوري عظيم ، وهي بيضاء اللون صلبة ، خالية من

وفي الأعمال الزراعية يحرق الغاز الطبيعي أو غاز البترول السائل في مخازن الحبوب لتخفيف الحبوب المخزونة ، ولإطلاق ثاني أكسيد الكربون الذي تحتاج اليه بعض المزارع المسقوفة . ويستخدم غاز البترول السائل في الزراعة لإطلاق ألسنة من اللهب بين صفوف المزروعات ، عندما تكون قد نمت الى درجة تتمكن معها من تحمل درجة الحرارة ، لقتل الأعشاب التي تنطلق على غذائها ، كما تستعمل في إزالة بقايا المحاصيل . وبالإضافة الى ذلك ، يستعمل البخار المتولد عن حرق بعض مواد الوقود البترولية ، في تعقيم التربة قبل الزرع .

مواد التزيت والتشحيم

مواد التزيت المنتجة من البترول اما أن تكون مستخلصة من المقطرات أو من المتخلفات . وتصنع بتكرير المقطرات والمتخلفات الى درجة عالية ، بحيث تتخلص من الشمع الذي تحويه . وهناك نوع ثالث من مواد التزيت ، يدعى بالزيوت المركبة ، وهي مزوجة بأنواع معينة من الزيوت النباتية أو الحيوانية بنسبة تتراوح بين ١ و ٢٠ في المائة . أما الشحوم فتصنع بتخليط مواد التزيت بمزجها بالصابون أو الصلصال . أو غير ذلك من المواد المغلظة . أوجه استعمالها : تستعمل مواد التزيت والتشحيم بمقاومة

بحرقه للتخلص من تأثير الغازات الموجودة في الهواء ، خشية أن تتفاعل بما يصنع في هذه المصانع من مواد . ومعلوم أن البزين والديزل والكلوروسين تستعمل في تشغيل العديد من المحركات والآلات المختلفة الأحجام والأغراض . كما يستعمل غاز البترول السائل في تسيير السيارات والآلات المتحركة والثابتة . ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن أبحاثا تجري على خلايا الوقود التي تولد الكهرباء بالتفاعل الكيماوي من وقود بترولي . ويتوقع أن تصبح ذات أثر كبير على الصناعة اذا ما كللت بالنجاح .

الزيت ، أو بها نسبة ضئيلة منه ، ولا رائحة أو طعم لها . وتتراوح درجة حرارة انصهارها بين ٥٠ و ٨٣ مئوية . أما الأخرى فتتميز بتركيب بلوري دقيق ، وتتراوح درجة حرارة انصهارها بين ٦٠ و ٩٥ مئوية . وهي أما صلبة أو لينة ، وتتراوح نسبة الزيت فيها بين ٢٥ و ٥٠ في المائة من وزنها . وفي كثير من الحالات تخلط هذه الشموع بنوعها لانتاج أصناف متوافقة تستعمل وفقا لما يحتاجه المستهلك .

أوجه استعمالها :

تستعمل بعض أنواع الشموع في أغراض الانارة ، وصنع الثقاب والمتفجرات والألعاب النارية والمشاعل . كما تطلّى بها بعض أوراق اللف والتغليف ، والأكواب والصحن المصنوعة من الورق ، وبعض المواد الغذائية ، كالجبين والخضار والفواكه ، لحفظها من التلف والتلف . إلا أنه يكثر استعمالها في صناعة مواد تلميع الأثاث والبلاط والسطوح والمعادن ، وفي صناعة الأقلام الملونة ، وفي صناعة سبك المعادن بطريقة الشمع المتبدد ، التي تتم بصنع نموذج عن القطعة المراد سبكها ، ثم تغليف النموذج بمادة مقاومة للانصهار ، ولدى صب المعدن يذوب الشمع ويحل المعدن محله . وكذلك تخلط الشموع بالمطاط لتعديل خصائصه ، أو لوقايتها من التلف . كما تستعمل في تغطية الأسلاك الكهربائية ، وفي الأغراض الطبية ، كوسيلة لمعالجة بعض الأعضاء المصابة بالتهاب المفاصل « والروماتزم » والتصلب الذي يعقب العمليات الجراحية أحيانا معالجة حرارية .

مركبات الاسفلت

ينتج الاسفلت من تقطير الزيت الخام ، وهو مادة سوداء ، أو بنية داكنة ، تتدرج في تكوينها من مادة شديدة اللزوجة الى مادة شبه صلبة في درجة الحرارة العادية . وتعرف درجة الحرارة التي تصل عندها الى حد معين من الثبات بدرجة التلين . وتتميز الأصناف التجارية منها بدرجة تلين تتراوح بين ٢٥ و ١٨٣ مئوية ، ومن الممكن أن تذاب منتجات الاسفلت بالكبروسين أو بالكحول . أما الاسفلت المستعمل في تعبيد الطرق ورصف سطوح المباني ، وغير ذلك من ضروب الاستعمال ، فيحل في الماء بنسبة تتراوح بين ٥٠ و ٦٥ في المائة من الاسفلت مع ١ في المائة من وزنه من الصابون .

وتستهلك كمية هائلة من مجموع انتاج العالم الحر من الاسفلت ، التي تقدر بـ ٣٧ مليون طن سنويا ، في انشاء الطرقات والمطارات ، بينما يستهلك الباقي في الأوجه الصناعية والانشاءات الهيدروليكية . وهو يستخدم في كثير من أعمال البناء ، وفي صناعة اللباد الذي يستعمل كمادة عازلة في سطوح المباني وقواطع الجدران ، ويستعمل أيضا في تغليف جدران الأنفاق والقنوات والممرات المائية وأقبية الري والملاحة والخزانات والسدود . وتستعمل صناعة الورق كميات ضئيلة جدا من منتجات الاسفلت التي تتميز بدرجة انصهار مرتفعة . وإلى جانب هذا يستخدم الاسفلت في صناعة أنواع مختلفة من الكرتون والورق المقاوم لتسرب الماء ، بالإضافة الى بعض المواد اللاصقة .

صناعة البتروكيماويات

عندما زار أحد كبار الكيماويين ولاية « بنسلفانيا » الأمريكية عام ١٨٧٢م كتب تقريرا جاء فيه : « ان هذه المادة (البترو) أثمن من أن تحرق . فنحن بحرقها ، انما نحرق المال . ان البترول يجب أن يستعمل كمصدر أساسي للمركبات الكيماوية . »

ويبدو أنه قدّر لتوصية هذا الكيماوي أن تتحقق ، ولو ميدئيا . فعلى الرغم من حداثة عهد صناعة « البتروكيماويات » إلا أنها آخذة في نمو مطرد . وهي ليست واسعة النطاق اذا ما قورنت بصناعة البترول عموما ، إذ أنها لا تستهلك أكثر من ٣ في المائة من مجموع انتاج البترول في العالم .

ويمكن تقسيم المركبات الكيماوية المنتجة من البترول الى قسمين رئيسيين : المركبات العضوية ، وهي تتألف من ذرات الكربون ، وتشمل الألدروجين ، وأحيانا الأكسجين ، والكلور ، والكبريت ، والنيتروجين . والمركبات غير العضوية ، وهي لا تحتوي على الكربون ، ويمكن انتاجها بمقادير كبيرة .

ولعل المذيبات من أهم ما تنتجه صناعة البتروكيماويات ، وهي فئتان : مذيبات أيدروكربونية ، وهي تتألف من الكربون والايديروجين ، ويحصل عليها خلال عمليات التكرير لانتاج البنزين . ومذيبات كيماوية ، وهي تتكون من الكربون والايديروجين والأكسجين ، وتصنع من الغازات المنطلقة من الزيت لدى تكريره كغازات الايثلين والبروبيلين والبوليلين .

وتستعمل المذيبات في صنع الأصباغ على أنواعها ، ومواد التلميع ، والتنظيف ، وحبر المطابع ، ومستحضرات التجميل ، والمطاط الاصطناعي . كما تستعمل في استخراج الزيوت النباتية التي تتم بإذابة المواد الدهنية في مذيب بتروكيماوي مناسب ، ثم استعادتها بالتقطير .

وتشمل البتروكيماويات صناعة المنظفات الكيماوية التي تمتاز بفعاليتها للذوبان في المياه العسرة أو الملحة . كما تشمل صناعة اللدائن « البلاستيك » ، التي بلغ انتاج العالم منها أكثر من خمسة عشر مليون طن خلال عام واحد فقط .

وبدأت صناعة البتروكيماويات تنتج أنواعا من خيوط النسيج الاصطناعية التي تمتاز بقوتها وسهولة تنظيفها وجاذبية شكلها ، بالإضافة الى أنواع كثيرة من المطاط الاصطناعي المقاوم للحرارة أو التآكل .

ولعل المركبات الكيماوية المنتجة من البترول ، كالأستيلين ، والنشادر ، والأحماض المتعددة ، ومشتقات الايثان والأيثيلين ، ومشتقات البروبان والبروبيلين ، ومشتقات البوتان ، والمشتقات العطرية ، ومركبات الكبريت ستكون ذات أثر فعال في انتاج أصناف كيماوية عديدة ، وتيسرها للمعامل على اختلاف أعمالها . هذا بالإضافة الى مجموعة من المركبات الكيماوية الزراعية من أسمدة ومبيدات ، كان لها الفضل في نمو المحاصيل الزراعية نموا ملحوظا في النصف الثاني من هذا القرن ، والبحث متجه الآن لإيجاد نوع من المبيدات يمتصه النبات لمكافحة الآفات الجذرية .

ان أثر الزيت في علاقات الأمم وتقدمها ، لا يمكن أن ينتهي عند حد ، فان عشرات المعاهد ومراكز الأبحاث والمعامل الكيماوية ، ومئات العلماء والكيماويين والأموال الباهظة التي تجند لإيجاد أوجه استعمال جديدة للزيت أو مشتقاته ، تخرج كل يوم بتائج مشجعة . ولعل المحاولات والتجارب الناجحة التي تجري الآن لانتاج البروتين من الزيت لسد حاجة الملايين من سكان العالم من أهم ما يبعث على التفاؤل في هذا المجال . وعندما يتم ذلك ، سيفقد الزيت ، من أهم ما أسرجه الانسان لخدمته من موارد طبيعية ، حتى يستطيع أحدنا القول دون تردد : « ان الزيت هو سمة القرن العشرين » .

بناء الفكر العربي المعاصر

من خلال أعمال الموسوعيين العرب

بقلم الأستاذ انور المجدي

في مختلف المجالات ، وكان ميدان عملهم تأليف الموسوعات . وقد أوتي هؤلاء فسحة من العمر والوقت والصحة ، على الرغم من ظروف الحياة الدقيقة في أوائل هذا القرن ، حتى استطاعوا أن يقدموا أرقاما ضخمة من الصفحات والمجلدات ، فقدم فريد وجدي ثمانية آلاف صفحة في دوائر معارفه ، وقدم خير الدين الزركلي عشرة آلاف علم .

وإذا ألقينا نظرة سريعة الى مجال الموسوعات نجد قطاعات خمسة حافلة بالمؤلفات الضخمة والدراسات المصنفة ، هي مجال الموسوعات الثقافية العامة ، ومراجع الدراسة الأدبية ومصادرها ، ومجال اللغة واصطلاحاتها ، ومجال التاريخ ، ومجال التراجم ، ومجال معاجم العلوم الطبية ، والنباتية ، والحيوانية ، والزراعية .

أولا - ويبرز في مجال الموسوعات الثقافية العامة ثلاثة أعلام ، هم بطرس البستاني ، وفريد وجدي ، وأحمد عطية الله (١) .. والمعلم بطرس البستاني هو أول من وضع معجما عربيا عسريا على هيئة موسوعة ثقافية عامة باللغة العربية في العصر الحديث ، وقد أطلق عليه هذا التعريف الشامل : « قاموس عام لكل فن ومطلب » ، وأتم منه قبل وفاته ستة مجلدات ، ثم أتم ابنه سليم الجزين السابع والثامن ، ثم أتم الأجزاء التالية الى الحادي عشر ولداه نجيب وأمين ، بمساعدة سليم البستاني ، ووقفوا عند كلمة « عثمانية » . وقد اهتم بطرس البستاني بمنهج دوائر المعارف الغربية ومضامينها ، وترجم منها كثيرا مما احتاج اليه .

جاء العلامة فريد وجدي فخطا خطوة جديدة أقوى من خطوة البستاني ، اذ استطاع أن يعد موسوعة جامعة بين القديم والجديد في عشر مجلدات ، يقع كل مجلد في ثمانمائة صفحة ، هي « دائرة معارف القرن العشرين » . وقد بدأ كتابتها في أول سبتمبر سنة ١٩٢٢ ، وانتهى منها في مارس سنة ١٩٢٥ . وكان قد ألف قبلها موسوعة صغيرة باسم « كنز العلوم واللغة » عام ١٩١٧ ، وقال ان الغرض منها « هو حصر خلاصة معلومات البشر في دائرة واحدة ليلم بها المطالع الماما جمليا ، فيستفيد لعقله وروحه وجسده » . فلما نجح المشروع دفعه الايمان بالثقافة الى انشاء دائرة المعارف الكبرى ، كما قال ، « على أسلوب يناسب الحاجة العصرية ليكون بازاء دائرة معارف (لاروس) الكبيرة . »

من موسوعيي العرب القدماء ، وأن يضيفوا اليها عصارات موسوعات ، وقواميس ، ودوائر المعارف الأوروبية في نفس المواد ، بما يحقق تسلسل الأبحاث ، منذ كانت في أيدي العرب والمسلمين ، حتى أسلموها الى الأوروبيين في أول عصر النهضة ، ثم يواصلون الكشف عما أضيف اليها . فعل ذلك البستاني ، ومحمد فريد وجدي ، وأحمد عطية الله في دوائر المعارف التي قدموها . وفعل ذلك أمين المعلوف ، وأحمد شرف ، وأحمد عيسى ، وانستاس الكرملي ، والأمير مصطفى الشهابي في اصطلاحات الحيوان ، والطب ، والنبات ، والزراعة ، وفعل ذلك أمين سامي ، وسليم حسن ، وعبد الرحمن الرافعي ، وأحمد شفيق ، ومحمد عبد الله عنان في موسعاتهم التاريخية . ولقد حفل الفكر العربي في العصر الحديث بالموسوعيين النوايع ، الذين حققوا بناء متكامل

الفكر العربي المعاصر أن يقيم « بناء متكامل » في مجال اللغة ، والتاريخ ، والثقافة ، والتراجم ، والأدب من خلال الأعمال الكبرى التي قام بها الموسوعيون العرب في مجال التأليف والصحافة . وقد قام هذا البناء على عنصرين أساسيين . هما : الاحياء ، والترجمة . فقد تضافرت جهود النوايع والأعلام منذ مطالع النهضة على احياء التراث العربي الاسلامي . وترجمة أحدث مفاهيم الفكر الغربي ، ثم أجرى هؤلاء المفكرون مزوجة وصهرا وتنسيقا بين الراغبين ، بحيث أمكن أن يصوغوا فكرا عربيا متجددا ، يغني اللغة العربية ، ويمدها بالقوة والحيوية والتماء .

فقد حرص الموسوعيون العرب في مختلف مجالات العلم والبحث على أن يمزجوا القديم بالجديد ، وأن يراجعوا أعمال كل من سبقهم

(١) هناك موسوعة للعبات المقدسة يدأب في اخراج أجزائها العلامة العراقي الأستاذ جعفر الخليلي .

وآية فريد وجدي أنه تعمق في دراسة التراث العربي الاسلامي تعمقا واسعا ، ومزجه بالفكر العربي الذي ترجمه عن دائرة معارف «لاروس» مزجا أصيلا ، بحيث ظل طابع الفكر العربي واضحا في موسوعته ، على نحو يهدي العربي الى مكانة أمته في التاريخ ودورها في الحضارة . وبذلك استطاعت دائرة معارف القرن العشرين أن تكون عاملا هاما في بناء الثقافة العربية بناء انسانيا شاملا ، يجمع بين العلم ، والدين ، والفلسفة ، والتاريخ .

وقد اقتفى العلامة أحمد عطية الله نفس الطريق منذ الأربعينات في ثلاثة أعمال موسوعية هامة ، هي : «القاموس السياسي» ، و«دائرة المعارف الحديثة» و«الموسوعة الاسلامية» . أما القاموس السياسي فهو في حجمه الجديد (١٤٠٠ صفحة من القطع الكبير) يقدم مادة ضخمة لكل ما يتصل بالسياسة العالمية ، والعربية ، والاسلامية في مختلف الأمم ، والشعوب ، والأوطان ، من حيث جغرافيتها ، وتاريخها ، وأعلامها ، ونظم الحكم فيها . وتقدم «دائرة المعارف الحديثة» معلومات موجزة ، ولكنها جامعة ، حول كل مواد الثقافة ، ومن شأنها أن تعين الباحث المتعجل . وأما «الموسوعة الاسلامية» فتجمع كل مادة اسلامية في مجال الفقه ، والعقائد ، والتصوف ، والأخلاق ، والفلسفة ، مع تراجم أعلام الاسلام في مختلف المجالات ، وقد ظهر منها جزآن .

ويمكن أن نضيف هنا الباحثة فاطمة معارف الشباب في ١٢٠٠ صفحة ، ولخصتها في دائرة معارف الناشئين . وقد ضمت دائرتها الكبرى أربعة آلاف كلمة ، مصحوبة بما يقرب من ٥٠٠ خريطة وصورة ايضاحية . وقد راجعت أمهات الكتب ودوائر المعارف ، حتى بلغ ما راجعته ، على حد قولها ، نحو المائتين . وطابع الموسوعة علمي تاريخي ، وبها تراجم . ثانيا - وفي مجال المصادر الأدبية والتاريخية نرى يوسف اليان سركيس ، ويوسف أسعد داغر ، وعمر رضا كحالة على التوالي قد قدموا أعمالا هامة في هذا المجال ، كانت في الحق استجابة لحاجة ثقافية هامة وملحة هي اعداد المراجع والمصادر التي تعين الباحث . وقد بدأ يوسف اليان سركيس عمله منذ أوائل القرن في اعداد «معجم المطبوعات العربية والمغرب» ، الذي أتمه عام ١٩١٩ ، وجعله «مرجعا شاملا للأسماء والكتب المطبوعة في الأقطار الشرقية

والغربية» ، مع ذكر أسماء مؤلفيها ولحة من ترجماتهم ، وذلك منذ ظهور الطباعة . وقد أشار الى أنه باشر العمل ستة عشر عاما ونيف «بأدلا غاية الجهد في فرز جميع المصنفات المطبوعة ، وضبط أسماء مصنفيها وترجميها» . وقد وجد في ذلك مشقة عظيمة أسهرته الليالي الطوال ، ولم يذل له تلك الصعاب إلا كثرة التنقيب والتفتيش ، ومساعدة كبار الأدباء ، وفي مقدمتهم أحمد تيمور ، بل ربما أحوجته الضرورة - على حد قوله - الى الاطلاع على الكتب نفسها للوقوف على حقيقة أسمائها ، وأسماء مؤلفيها ، وما احتوته من العلم والفن .

ثم كان عمل يوسف أسعد داغر مكتملا لهذا العمل ، ومنسقا له على نحو أكثر دقة وشمولا . فأصدر «مصادر الدراسة الأدبية» وخص الجزء الأول منه للأدب العربي القديم وأعلامه ، والثاني للأدب العربي الحديث وأعلامه من الراجلين . وقد حفل هذا الجزء «بدراسات عن مشاهير حملة الفكر العربي الحديث في نهضتنا الأدبية ، منذ مطلعها في غرة القرن التاسع عشر ، حتى أواخر عام ١٩٥٥» . ووعد باصدار جزء ثالث عن «الأحياء» ، لما يصدر .

و جاء العلامة عمر رضا كحالة عام ١٩٥٧ فقدم موسوعة ضخمة في ١٥ مجلدا ، تبلغ في مجموعها ٧ آلاف صفحة تقريبا ، باسم «أعلام المؤلفين» ، كان حصادا شاملا لكل كاتب عربي ومؤلف وصاحب قلم ، وقد جعله معجما «لمصنفي الكتب العربية من عرب وعجم ، ممن سبقوا الى رحمة الله منذ بدء تكوين الكتب حتى العصر الحاضر ، وألحق بهم من كان شاعرا أو راويا وجمعت آثاره بعد وفاته» . وقد أولى «داغر» ، و«كحالة» الاهتمام بترجمة كل علم من الأعلام ومؤلفاته ، والمصادر التي كتبت عنه .

ثالثا - وفي مجال اللغة نرى انتاجا ضخما لأحمد تيمور ، وأمين المعلوف ، ومصطفى الشهابي ، ومحمد شرف ، وأحمد عيسى . أما أحمد تيمور فقد قدم عددا ضخما من أبحاث اللغة ، منها «الموسوعة التيمورية» ، وهي من كنوز العرب في اللغة والفن والأدب ، و«أسرار العربية» ، وهو معجم لغوي نحوي صرفي ، و«الأمثال العامة» ، و«البرقيات للرسالة والمقالة» ، و«السماع والقياس» ، و«ضبط الأعلام» ، و«الكتبايات العامة» ، و«لعب العرب» ، و«الحب عند العرب» ، و«أوهام

شعراء العرب في المعاني» ، و«الموسيقى والغناء عند العرب» ، و«التذكرة التيمورية : معجم الفوائد ونوادر المسائل» ، و«تصحيح القاموس المحيط» ، و«تصحيح لسان العرب» ، و«خيال الظل ، واللعب ، والتماثيل المصورة عند العرب» . وقد جاء هذا العمل الموسوعي نتيجة مراجعة أحمد تيمور لعدد كبير من مجلدات التراث العربي .

أما الدكتور أمين معلوف فقد قدم «معجم الحيوان» عام ١٩٣٢ ، وكان قد بدأ دراسته عام ١٩٠٨ ، حيث بحث المصادر العربية القديمة والحديثة ، وراجع مئات المؤلفات بالانجليزية والفرنسية ، وقدم كذلك «المعجم الفلكي» . وقدم الدكتور محمد شرف «قاموس شرف في العلوم الطبية والطبيعية» عام ١٩٣٦ ، وهو ثمرة مراجعة ضخمة للتراث العربي الاسلامي ، وللمؤلفات العصرية في الطب والطبيعة .

وقدم الدكتور أحمد عيسى ثلاثة معاجم هي «معجم أسماء النبات» ، و«معجم آلات الطب والجراحة» ، و«الكحالة عند العرب» ، (١) و«معجم مصطلحات العلوم الطبيعية» : بالانجليزية والفرنسية والعربية . وقد راجع جميع النتاج العربي والغربي في هذا الكتاب . وقدم الأب أنستاسي ماري الكرمل معجمه العربي الكبير «المساعد» الذي جمع فيه «ما لم يعثر عليه في معاجم العرب من ألفاظ العلماء ، وكلام المولدين ، وفردات العوام ، والمعربات الحديثة» .

ل الأمير مصطفى الشهابي فقد عني بالألفاظ الزراعية ، فقدم منها «معجم الألفاظ الزراعية» ، بالعربية والفرنسية و«معجم المصطلحات الحراجية» . وله كتاب «المصطلحات العلمية في اللغة العربية» . وقد عمل ، أطال الله بقاءه ، منذ عام ١٩٢٠ الى اليوم في دراسات العلوم الزراعية «الأشجار» ، والبقول ، والدواجن ، والزهور ، والنبات ، والنحالة ، والحراجة ، والبستنة ، وغيرها .

رابعا - وفي مجال التاريخ نجد عددا ضخما من الباحثين أصحاب الموسوعات ، منهم : علي مبارك ، وأمين سامي ، ومحمد كرد علي ، وأحمد شفيق ، وعبد الرحمن الزايعي ، ومحمد عبد الله عنان ، وسليم حسن ، وأمين سعيد .

فقدّم علي مبارك «الخطط التوفيقية» في ٢٠ جزءا مجموعة في خمس مجلدات ، تبلغ ألفي صفحة ، سار فيها مسار خطط المقريري ،

الذي سبقه بأكثر من ٤٥٠ عاما . وقدم أمين سامي موسوعة « تقويم النيل » ، تتضمن تحاريقه ، وفيضانه منذ عام ٦٢٢م الى عام ١٩١٤ ، معتمدا في ذلك على ما دونه مؤرخو مصر ، مع ذكر شذرات تاريخية عن الواقعات الصحيحة . وظهر التقويم في ٣ أجزاء موزعة في خمسة مجلدات ، تضم ٢٥٠٠ صفحة من القطع الكبير .

وقدم كرد علي « خطط الشام » في ستة مجلدات ، ضمت ١٩٤٤ صفحة كبرى . أما أحمد شفيق فقد قدم موسوعتين كبيرتين هما « حوليات مصر السياسية » ، و « مذكراتي في نصف قرن » . والحوليات ، هذه ، عمل جديد في كتابة التاريخ السياسي المعاصر ، فقد أخذ أحمد شفيق يتبع الحوادث ، ويرصد الأخبار ، ويقيّد الروايات ، ويجمع الوثائق ، منذ درج عام ١٨٨٠ ، مما مكّنه من اعداد هذا العمل الضخم . وفي مذكراته خلال خمسين عاما قدم اضافات هامة في تاريخ مصر .

أما عبد الرحمن الرافعي فقد أصدر دراسة شاملة للحركة القومية في مصر ، بدأها في أواخر القرن الثامن عشر حتى السنوات الأخيرة ، تضم أكثر من ١٦ مجلدا . وقد عاودها في السنوات الأخيرة ، فكتب تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة الى الفتح العربي . أما عبد الله عنان فقد أنجز موسوعة ضخمة

لتاريخ الأندلس في سبعة مجلدات ضخام ، تضم نحو أربعة آلاف صفحة ، هي : « دولة الاسلام في الأندلس » ، و « دولة الطوائف » ، و « عصر المرابطين والموحدين » ، و « نهاية الأندلس » . و « الآثار الأندلسية الباقية » . وقد عايش البحث ربع قرن ، وتفرغ له ، حتى قال : « لم أترك مدينة أندلسية أو قرية الا زرتها ، ولم أترك مدينة لمعركة هامة الا درستها » .

وسليم حسن موسوعة كبرى عن مصر القديمة ، بلغت (١٦) مجلدا ، بدأها عام ١٩٤٠ . وقدم أمين سعيد موسوعة عن التاريخ السياسي العربي الحديث ، تضم أكثر من ١٢ مجلدا .

خامسا - وفي مجال التراجم نرى موسوعات خير الدين الزركلي ، وعمر رضا كحالة ، وزكي محمد مجاهد ، والدكتور محمد شرف . أما الزركلي فقد قدم موسوعته الكبرى في أكثر من ٤ آلاف صفحة تضم أكثر من عشرة آلاف من أعلام العرب والمسلمين في القديم والحديث ، مضافا اليها نماذج وخطوط ١٤٠٠ شخص معاصر ، وقد بدأها عام ١٩١٢ واستوت في صورتها النهائية عام ١٩٥٩ ، في عشرة مجلدات . وقد صور منهجه في العمل فقال : « جعلت ميزان الاختيار أن يكون لصاحب الترجمة علم

تشهد به تصانيفه ، أو منصب رفيع كان له أثر بارز ، أو فن تميز به » . وتضم موسوعة « الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة للهجرة » لزكي مجاهد ، تراجم رجال الشرق والدول العربية والاسلامية ، بدأ ظهورها عام ١٩٤٨ ، وتم نشر خمسة أجزاء منها . وقدم عمر رضا كحالة « معجم أعلام النساء » في ٣ مجلدات ، تضم دراسات معبرة عن النساء العربيات منذ الجاهلية الى مشارف العصر الحديث ، كما قدم الدكتور أحمد عيسى « معجم الأحياء » منذ عام ١٩٥٠ الى يومنا هذا ، مكملها به موسوعة « عيون الأتباء في طبقات الأطباء » لابن أبي أصيبعة ، وقد ضمنه ٩٠٠ ترجمة .

وقدم « فليب دي طرازي » موسوعة لأعلام الصحافة العربية تحت عنوان « تاريخ الصحافة العربية » في ٤ مجلدات تحتوي على تراجم المشتغلين بالصحافة العربية .

من خلال هذا العرض السريع نرى كيف أشاد الموسوعيون العرب ببناء ضخما للفكر العربي المعاصر في مجال « التأليف » . بيد أن هناك مجالا موسوعيا آخر حفل بالعمل والبناء ولا يزال بعيدا عن ضوء التقدير والتكريم ، وذلك هو عمل الموسوعيين العرب في مجال الصحافة . وهذا موضوع بحث خاص .

طرائف

تمثال يزاد سبابا!!

كان برنارد شو يري أحد الصيوف تمثاله النصفى ، فقال لصيف : يوجد شيء غريب عن هذا التمثال . انه يزداد شابا يوما بعد يوم .. كلما أقارنه بنفسى .

عصر السرعة

بعد أن حلت الطائرة التي تفوق الصوت سرعة من مطار روما في طريقها الى نيويورك ، سألت المضيفة إحدى الركابات ما اذا كانت ترغب في خلع معطفها . فالتت الركابة : كلا .. شكرا ، انتي نازلة في لندن .

فوز

قال الملايح المشترك في المسابقة : ان الجواب

فجناز قهوة!!

كان المحرم محمد البابلي يركب ذات يوم عربة أجرة ، ويستنهض السائق ليسرع به الى موعد هام ، وبينما هو يجتاز أحد الشوارع اذ ناداه رجل من معارفه يستوقفه ، فأوقف البابلي العربة ، وانحنى السائق به ناحية الافريز ريشا يقبل الرجل ، وحضر الرجل لصياحه محمد البابلي وانشأ يمدده حديثا تالفاها اصغر البابلي وامضه ، فصرخ يصيح بالسائق : - يا سائق اعمل لنا فجنازي قهوة!!

فضجل الرجل وانصرف

من ومن ومن!!

دخل مدرس جديد أحد الفصول ، وأحد يسأل بالترتيب كل تلميذ عن اسمه ، قائلا : من أنت ؟ وهكذا حتى وجد تلميذا يدينا جدا ، فسأله : - وأنت من ومن ومن!!

الصحيح هو عمر بن الخطاب ، وليس عمر ابن عبد العزيز . ولكن بما أنك ذكرت النصف الأول من الاسم صحيحا ، فلقد فزت بنصف الجائزة .. مبروك .

تقدير

ذهبت زوجة مزارع لزيارة الطبيب ، وبقي المزارع في البيت لقناة بالاطفال .. فسجل كل شيء عمله ، وقد أتى سجله كما يلي : فتح الأبواب ١٠٦ مرات ، نهض الأطفال ٩٤ مرة ، ربط سيور الأحذية ١٦ مرة ، أوقف المشاجرات ١٩ مرة ، سقى الأطفال ماء ٢٦ مرة ، رد على التليفون ١١ مرة ، رد على الأسئلة ٢٠٢ من المرات ، جرى وراء الأطفال ٥٠ ميلا ، فقد السيطرة على أعصابه ٤٥ مرة . وفي اليوم التالي ذهب الى المدينة ، واشترى الفسالة التي طالما تمتتها زوجته .

بين القليد والجد

للسير حسن السير

أنا ما سمعت اليوم غير مقلد
شمخت بها الأجيال فوق الفرقد
في أمره كالسائل المنزدد
فكأنما أنا والأسى في موعدد
عن أفقك الزاهي ابتداع المنشد
سنة بالشذى يا للردى المنزدد
منها الزمان جنى ولما تنفد

الا حياة البائس المنوجد
ماء الحياة يسيل أعذب مورد
تبكي الطلول بحيرة وتنهد
أسمى وذلك ليس بالمتبعدد
من شاعر متبصر أو نيقدد

ان شئت لربما شعر كالتمرد
أو هادم لعروشك الشم السني
أو قابع في حجرة متحير
كيف اتجهت يكاد يخفني الأسى
صمت بلابلك الطروبة وانطوى
وتأوهت أدواحك الغنّ الملي
ونجرت تلك الحقول وطالما

هذي حياتك ما لمحت مثيلها
تلمس الماضي البعيد وحوفا
علقت بأشراك القديم ولم تنزل
ولربما حنت الى مستقبل
فأنت تصب على الأنام مدافعا

الأمومة في أدب المهجر

بقلم الاستاذ الفزالي عرب

وهناك في أرض الغربة والوحشة ، ناجي
« أمين مشرق » أمه الحبيبة ، بكلمات مسن
الشعر المنشور هاما :
يا علة كياني ، ورفيقة أحزاني . يا رجائي
في شدي ، وعزائي في شقوتي . يا لذتي في
حياتي ، وراحتي في مماتي . أمي ، وما أحلاك
يا أمي . أنت يا مسكنة وجعي وألمي ، ومبددة
بؤسي وهمتي .. أنت وما أصفاك يا أمي .
جاء الكلاب تجلس في أحضان أمهاتها ،
وفراخ الدجاج تحتني بأجنحة أمهاتها ، وغصون
الأشجار تبقى معانقة أمهاتها .. وأنا وحدي بعيد
عنك ، ومشوق اليك يا أمي .
إذا مت يا أمي ، وإذا قتلني وجدي .
ودفنت آمالي في هذه الأرض الغريبة ، فاجلسي
عند الغروب ، قرب غابة السنديان وأصغي ..

عن ظلام دنياه ، الا عين أمه الحنون ، التي
اعتبر موتها شرا من ظلام العمى . يقول :
خلقت أعمى وكان عندي
في عين أمي ضوء لعيني
فقدت أمي فحين ماتت
عميت يا رب مرتين
والباس فنصل بجمع في لوعته بين أمه ووطنه . قائلا :
واستصغر الدهر ما ألقى فلو عني
بحرقه البعد عن أمي وعن وطني
ثم ياجي أمه هتما من صميم الوجدان في
حنين وحنان :
أماء لا شيء في القواد ييهجني
فلا والام اذا ما بت أسوانا
أماء مر شبابي بالعذاب فهل
بعد الشباب يعود العمر ريانا ؟

يكن من خلاف في تقويم أدب
المهجر شعره بين النقاد ، فان مما
لا يختلف فيه منصفان ، أن المدرسة المهجرية ،
قد أحدثت آثارا لا يستهان بها في أدبنا الحديث .
ولشعراء المهجر وأدبائه من الاحساس الانساني
النبيل بأبادي الأمومة وافضلها رصيد ثمر عميق ،
كما تنطق بذلك الأمثلة الآتية ، التي ليست الا
غضا من قبض :
فشفيق معلوف تحت وطأة الهجرة الموحشة
يقول عن نفسه انه ترك بوطنه أمه :
وغادر عند صخر الشط أما
تذوب اليه تحانا وشوقا
فما نضبت لقلتها دموع
كأن لعينها في البحر عرقا
وشاعر مهجري آخر مكثوف لا عزاء له

هناك نداء أتني امتزجت بنسمات الغابة وأشجارها ،
يرتلن بهدوء متمايلات مرددات : يا أمي ..
يا أمي .. يا أمي ..

وصيف
التعقيب على هذه المناجاة البارة الحارة .
يقول الدكتور محمد مندور ، مؤلف
« في الميزان الجديد » : هذه أنفاس أمين مشرق ،
أعد قراءتها . ثم استشر ما فيها من حرارة ونبل ،
أو ما تحس بجمال يحزنك أن صاحبها مات
بعيدا عن « غابة السنديان » ..

وكما ناجى أمين مشرق أمه بهذا النثر الشعري
الذي سماه الدكتور مندور « النثر المهموس » ،
ناجها فيمن ناجاها شاعرنا القروي رشيد سليم
الخوري بقصيدته ، التي جاء فيها :

سلام الى حيث روحي
بلبنان سايحة هائمه
الى أخوة كفرناح القضا
وأم على أمرهم قائمه
إذا عسى الدهر في وجهها
تظل هم أبدا باسمه
فيارب رفقا بتلك الفراح
وأبقى هم أهمهم سالمه
وكذلك ناجاها شاعرنا القروي . وهو يناجي
القمر الساري في بلاد المهجر بقصيدته « الى
القمر » ، ومنها :

وان شمت أمي عند المغيب
توجه للبحر عني سؤالا
فقف خاشعا وقفة الولد البر
بالوالدين وخذني مثالا
وقبل بنورك ذاك الجبين
ليزداد نورك منه جلالا
وقل أيها الأم صبرا جميلا
إذا زمن البعد يا أم طالا
وقال يصف حب الأم الذي هو فوق كل حب :
ولو كان يغني الحب أو يدفع الردى
لما نام تحت التراب حي له أم
وبين أخطر الأرزاء والمحن . وفي مهب
عواصف الزمن . ذكر شاعرنا القروي أمه
مستروحا الغزاء والصبر الجميل بصدرها الخنون .
يقول في قصيدة له :

ولو أنني رزئت بفقد مالي
وأصحابي وأشعاري الغوالي
فلي كنز - وقاه الله - أغلى
من التاج المرصع باللآلي
ألا وهو الختان بصدر أمي

وقلب الأم يتبوع فياض بالسعادة الحقيقية
التي يستحقها البار لا العاق :

وتلك هي النعمى التي ما استحقها
عقوق باحسان الأمومة يكفر

ومن
المناهج الجديدة لشعراء المهجر في
الاحساس بالأمومة . منهج حديثهم بلسان
الأم نفسها بادئة . أو في معرض حوار . فهذا
« صلاح الأسير » يقول بلسان الأم من قصيدة له :

أنا الآلام أبني الدهر
من روحي ومن جسمي
أحسن لهم في قلبي

ربيعا أخضر الحلم
وما أصدق أدباء المهجر وشعراءه في مراتبهم
الرائعة لأمهماتهم . ولا سيما الياس قنصل .
وجورج صيدح ، ومزيد أبو فاضل ، وشيلي
الملاط ، والياس فرحات ، وميخائيل نعيمة .
وحسنا من مرثي هؤلاء الشعراء الأبرار أن نشير ،
في ايجاز ، الى ما تيسر من مرثية جورج صيدح
شعرا . ومرثية ميخائيل نعيمة نثرا . أما جورج
صيدح فيكي متسائلا ، ويتساءل باكيا ، في
همس صادق حنون وفي حفي :

كسرت قلبي فمن يجبره
ان تكن أمي التي تكسره ؟
لست أشكوها فشكواي جحود

ولها في عنقي دين الوجود
ان قلبي ليس بالقلب الحقود
يلثم الكف التي تنحدر

كسرت قلبي فمن يجبره
أنراها حملتني للحياة
كي أقضيها على شوق الممات
نعمة الدنيا حنو الأمهات

خاسر الآمال من يخسره
كسرت قلبي فمن يجبره
رحمة يا رب في اليوم الأخير

واعف عنها قد عفا قلبي الكبير
ان ذنب الأم في عيني صغير
وعلال الدمع لا أبصره

كسرت قلبي فمن يجبره ؟
وأما ميخائيل نعيمة فما أبلغ وما أصدق مرثيته
النثرية الشعرية البليغة « ماتت التي ولدتني » ،

وفيها يقول راثيا ، وما رثاؤه الا نبضات وأنات
في هذه الكلمات الداميات الدامعات :
ماتت التي ولدتني ، والموت يطوي الكل
حتى الودادات .. ماتت وفي لحمي وعظمي ودمي .

بقايا من لحمها وعظمها ودمها ، وفي القلب من
أنفاسها أنفاس ، وفي الصدر من أنفاسها
أنفاس . أما كوّنت جسما حيا في جسمها ،
ومن جسمها الحي ؟ فكان بعضي مات بموتها ،
وكان بعضها ما يزال حيا في حياتي . فكلانا
ميت . وكلانا حي ..

كل القلوب عجيب ورائع وغريب . ولكن
أعجبها وأروعها وأغربها - من غير شك -
قلوب الودادات ، فما ان يرحل ولد عن قلب
والدة . حتى تصبح الودادة لها قلبان ، وجسدان ،
وحياتان . وتعدد المواليد فاذا الودادة ذات قلوب ،
وأجساد ، وحيوات عدة . أما تسمعون الودادات
يتحبن الى أولادهن بمثل هذه الكلمات :
يا قلبي .. ويا روحي .. ويا عيني .. وما شاكلها ؟
وما ذاك من المجاز في شيء . ان هو الا الحقيقة
العارية عن أي زخرف ومبالغة . فما مس ولدا
ضرّ الا مسّ والدته أضعافه ، ولا سالت من
عروقه قطرة دم الا تفجّرت لها من قلبها قطرات ،
ولا اريدت في عينه نهار الا أظلمت في عينها
شمس ، ولا غاب عن أبصارها الا وزّعت
نفسها حراسا يسهرون على سلامته ودعوات تدرأ
عنه السوء ، وتسدّد خطاه الى الفلاح ، وإلى
العش الذي منه طار ، وعنه اغترب . وأما اذا
اختاره الموت ولفته ظلمة الرمس ، فما من خطيب ،
ولا شاعر ، ولا أمير يبان يستطيع أن يصف لكم
مينة واحدة من الموتات التي تموتها والدة فجعت
بقلب من قلوبها ..

وذكر
بعض ما قاله أدباء المهجر وشعراؤه
في الأمومة ومكانتها وأفضالها التي
لا تعد ولا تحصى ، ومهما يكن من خلاف
في تقويم هذا الأدب وتقديره ، فان القارئ
الذوّاق لهذا الأدب المهجري ، لا يسهو الا أن
يقول مع الناقد الغربي « ويتمان » عبارته المأثورة :
« أنا لا أقرأ كتابا ، وإنما أقرأ انسانا .. »
ثم يقول مع الناقد العربي الدكتور محمد مندور :
« أدب المهجر أدب يصاغ من الحياة . وكأنه
قطع منها . وأدباء المهجر يردونني الى النفس
التي نعتز بها .. »

وحسب الأديب المهجري . والشاعر المهجري ،
أولا وأخيرا ، أن يكون انسانا في شعوره ، وانسانا
في نثره ، وانسانا في هتافه من الأعماق يقول
شاعرنا الانسان المعاصر ، صديقنا محمود أبي الوفا :
حسبي اذا الحب أضنانني فمت هوى
ان يذكروني قالوا : كان انسانا



بقلم الأستاذ عبد الله هشيم

لذلك .

— ومن لا يستبدل ماله ؟

— يحتفظ به في صندوقه ولا يظهره ، فإذا
أظهره بعدئذ ، وحاول التعامل به ، سيق
إلى السجن .

فلم تتمالك زينب من الحتاف :

— يَا لِلَّهِ .. أَعْدِلْ هَذَا ؟

قال حمدان ضاحكا :

— ماذا ؟

— أن يسجن امرؤ ويذلّ لأحفظه وتعامله

بحال غیر عربی، ؟

— ما لهذا يسجن ويذل .

— لَمْ اُذِنْ ؟

في متناول الأيدي .

ومن أين أنت ؟

— سكتها الخليفة عبد الملك ، وفرض تداولها في أرض الخلافة على اعتبار كونها النقد الرسمي بعد الآن للدولة .

وعاود الملقى زينبا . فقالت :

— ودنا نیرتا ، ودراهمنا . ما فاعل بها ؟

— نستبدلها بالدنانير والدراهم الجديدة .

— ومن يديها لنا ؟

— بیت المال .

— بيت المال !!! وهل علي ال

بیابانہ لاستبدال ماہم ؟

— في خلال أسبوع .. وهي المهلة المحددة

— أنظري ما عندنا من المال يا زيب .

— ما عندنا من المال ؟ لماذا يا حمدان ؟

— لم يبق الدنانير الرومية ، والدراهم الفارسية ،
صاخة منذ و .

لم تنقِ صالحة لندون^{١٥}

ونوف في الخلام في حمرة ريب . كان في
قول حمدان ما أنار في نفسها فتنا الأمر لم يكن في
طوقها هو - ٥٤ - ثم أردت متعة على فقها

وہو بنعام السلام ادن

لنساء ونداء العربية

قلت متصاحبة

— بالدنانير والدراهم العربية؟! وأين هي هذه

الدنانير والدراهم العربية ؟

قال ، وقد ارتدت لهجته طابع الجد :
— لا استقلال ، ولا حرية ، ولا عزة لدولة
لنقلها طابع غير طابعها القومي .. يكون النقد
الجديد العربي اذن رمز استقلال دولتنا وحريتها
وعزتها ، ومن استهان به استهان بما لا تجوز
الاستهانة به من مقومات هذه الدولة .

وكانت تصغي اليه في الظاهر ، وتفكيرها
منصرف في الباطن الى الأمر الذي كان مصدر
قلقها . ولحظ بعض ذلك ، فقال :

— أراك مرتبكة ، فما داعي ارتباكك ؟

قالت ، تتصنع الابتسام :

— لا شيء .. أفكر فقط .

— فيم ؟

— في ازدحام الجماهير حول بيت المال .
أما هناك مكان آخر ، أو وسيلة غير هذه
لاستبدال النقد ؟

— ما أدري .

فلم تتمالك من القول :

— مشكلة ..

ومرة أخرى لحظ حيرتها وارتباكها . قال :

— أين المشكلة ؟

فتصنعت الابتسام ، وقالت :

— في وقوفك بين الجماهير ، فمن يدري
كم من الوقت ستقف ليصل الدور اليك .
— لا علي . المهم ألا نخالف الأوامر ،
ونعرض أنفسنا للجزاء .

واستطرد قائلاً :

— ما عندنا من الدنانير الرومية ؟

— عندنا منها ألف وبضعة عشر ديناراً .

— ومن الدراهم الفارسية ؟

— لا أعلم متتان ، متتان وخمسون ، لا أكثر .

— ما هم . مهما يكن العدد حتم علينا

استبداله ، درهما بدرهم ، وديناراً بدينار .

قال هذا وانصرف .

.....

عندما أصبحت زينب وحدها ، أسرعت الى
مكان خفي في البيت ، وأخرجت منه صندوقة
صغيرة ، وفتحتها . وكانت ترتجف من فرط
ما يداخلها من القلق والجزع ، وإذا في الصندوقة
دنانير ، راحت تعدها : واحد ، عشرة ،

عشرون .. مائة ، متتان ، خمسمائة .
وكادت تفقد صوابها . فهذه الخمسمائة من
الدنانير قضت العمر في توفيرها وجمعها ، وفي
الحفاظ عليها . فكيف يمكنها التصور أنها
ستصبح لا قيمة لها في مخبئها ان هي لم تسرع
مع جماهير المسرعين الى استبدالها ؟

ولم يكن من السهل عليها أن تفعل .

خمس عشرة سنة مرت عليها في بيت زوجها ،
وهي تتظاهر بكونها لا تملك درهما خاصاً بها .
فكيف يمكن أن تقول للرجل الذي أحبها ،
واحترمها ، وصدقها طوال هذا الزمن ، كيف
يمكن أن تقول له انها كانت غير صادقة في
تظاهرها ؟

وبلغ همها وقلقها الذروة . لا الاعتراف للزوج
هين ، ولا الوقوف بباب بيت المال من الحكمة ،
فقد يراها البعض ممن لهم بها وبزوجها معرفة ،
وينفضح أمرها .

ورأت أن تستنجد بالله :

— اللهم ، أهدني سبيل الخروج من حيرتي
ومأزقي . دعني لا أخسر المال الذي قضيت
السنوات الطويلة أجمعه ، ولا ثقة الرجل الذي
لثقت به قيمة أعلى من المال عندي .

وسمعت طرقة على الباب . وخفق قلبها ، وكأنه
يخفق على شيء من الأمل يأتيها على يد الطارق .
ولم يكن الطارق غير امرأة عجوز اشتهرت
بمعرفة الأخبار ونقلها ، وكانت زينب ترتاح
أحياناً الى مجالستها والتحدث اليها . وما كادت
تفتح الباب وترآها حتى أحست كأنها تحمل
خبيراً ، فسألتها :

— ما وراءك ؟

— لا شيء غير خبر النقد العربي الذي
فرض الخليفة التداول به .

— صحيح هذا الخبر اذن ؟

— صحيح . فإذا كان عندكم مال مدخر ،
فعليكم الاسراع في استبداله من بيت المال ضمن
المهلة المحددة .

قالت زينب متحفظة :

— مال مدخر .. أنى لنا المال ندخره ،
وزوجي تاجر صغير يكاد لا يكسب أكثر مما
فيه سد الحاجة ؟

قالت العجوز متضاحكة :

— البركة في زوجك وفيك ، يا ابنتي . كل
من في الحي يعلم أنكم ، وان لم تكونوا مسن
ذوي الثراء الواسع ، لا ينقصكم شيء مما يوفر
لكم أسباب الرفاهية .
— الحمد لله ..

— .. على كل حال . وأرجو ألا تفسري الغاية
من مجيئي اليك بغير واقعها ، وأنت تعلمين مقدار
مودتي لكم ، وغيرتي بصورة خاصة عليك .
وكانت تبدو صادقة بقولها . وزينب في أمس
الحاجة الى من يحمل عنها شيئاً من همها ،
فما يمنع أن تكون هذه العجوز هي التي تحمل
عنها هذا الشيء من الهم ؟

ولم تردد في القول لها :

— لا يخامرني شك في صدق مودتك وغيرتك ،
ولذا أرى أن أتخلى عن تحفظي وأقضي اليك بأمر .
قالت العجوز ضاحكة :

— .. منه امارات القلق التي أراها مرتسمة منذ
البداية على وجهك . لا شك في أنه يتعلق بالموضوع
الذي جئت بك بخره .

— هو ما قلت .

— وتحفظك في القول يعني أن لديك مالا
تحاذرين أن يصل خبره الى زوجك .

— هذا هو الواقع .

— وما في الواقع هذا من مأخذ عليك .

وراحت تهون الأمر :

— مثلك تفعل ربة كل بيت ، كل سيدة
عاقلة واعية . الاحتياط للغد فضيلة ، وفضيلة
يكون ادخارك بعض المال لغدك ، فما القيمة
التي لديك ؟

— خمسمائة دينار .

— لا شيء . هي . ولا علم لزوجك بها ؟

— لا أعلم له بها ، وهذا مصدر همي وقلقي
ما حسبت أن في كتمانها أمرها عنة كذبة .
وأني سأجد نفسي ، في يوم من الأيام ، مضطرة
الى الاعتراف له بكذبتني .

— وما يضطرك الى ذلك ؟

— اضطراري الى استبدال القيمة بمثلها من
دنانير الخليفة . فالوقوف على باب بيت المال
مع الواقفين أمر لا طاقة لي عليه ، خاصة وأن

انظار الكثير من المعارف ستركز عليّ . ولا
يعتم خبري أن يصل الى زوجي . وتظهر حينئذ
الكذبة . التي أفضل الموت على اظهارها .

— لا يخلو موقفك من حراجة .
قالت العجوز هذا وسكتت . وكأنها تفكر
في حل لمشكلة . وما لبثت أن وجدت لهذه
المشكلة حلا . فاستأنفت قائلة :
— ما قولك لو أغنيك عن الوقوف في باب
بيت المال ؟

قالت ربيب مهتمة
كيف ؟

— تعرفين جار حينما التاجر أبا زيد الكوفي .
— ذلك الرجل المشهور بشحه ؟
وباعتنامه كل فرصة لتضخيم ثروته .
— وما شأنه في موضوعنا ؟
— نحمل اليه الدنانير التي لديك . فيبذلها
لنا بدنانير جديدة . لقاء عمولة .
— وما قدر عمولته ؟

— لا أدري . ومهما تكن هذه العمولة تظل
تأديتها سهلة ما دامت ستحل لنا المشكلة .
— صدقت . فمتى نمضي اليه ؟
— يحدد هو الموعد . وإذا شئت مضيت على
الفور . وسألته تقديم هذه الخدمة لنا . ووافقت
زينب شاكرة .

في كل زمان ومكان رجال من طراز أبي زيد
الكوفي .. هذا النوع من الرجال همه جمع
المال . ولا فارق عنده في أن يكون هذا الجمع
حلالا أو حراما . وفي الحياة فرص . على من
كان مثله أن يعرف كيف يفتنهم .
ودوى خبر النقد الجديد العربي في أذنيه .
والى أعماقه تغلغل الدوي . انها لفرصة ..
كثيرون من الناس البسطاء سيدخلهم الشك
في قيمة هذا النقد . بالنسبة الى التقدين الرومي
والفارسي . ومنهم من يفرض عليه ظروف معينة
عدم البوح بما عنده من هذين التقدين . ولن
يردد في استبداهما سرا اذا وجد من يسهل له
السييل الى ذلك .

والفرصة هنا . وعليه . هو أبوزيد . اغتنامها .
والأمر يحتاج الى شيء من الدعاوة . الى من

يرشد الباحثين عن أمثاله اليه . فإذا له في الحى .
كما شاء . دعاة .

ومن هؤلاء الدعاة . كانت العجوز زهرة .
ولما أقبلت عليه بخبر زينب ودنانيرها . انفرجت
أسرته ارتياحا . وقال لها :

— عرفتك سمسرة زواج . ولم أعهد فيك
مثل هذه المهارة في سمسة الأعمال !
قالت ضاحكة :

— منك تعلمت ألا يضيع المرء فرصة للكسب .
فهل رأيت في هذه الصفقة كسبا ؟
— يتوقف هذا على العمولة .

— وكم هي ؟
— تتوقف على وضع صاحبة المال .. أبدون
علم زوجها تريد استبداله ؟

— يجهل زوجها أنها ذات مال .
— يعني أن الخمسمائة دينار التي معها ادخرتها
خفية عنه . وتريد أن يبقى أمرها سرا لا يجاوزنا
نحن الثلاثة ؟

— مهما يكلف الأمر .
قال . وقد برقت أسرته مرددا :
— مهما يكلف الأمر ..
— في حدود المعقول .
— في حدود المعقول طبعاً .. اذهبي وعودي
بها اليّ .

— وأنا . ما نصيبي من كسبك ؟
— خمسة بالمائة ... قليل ؟
— عشرة بالمائة .

— كثير . من كسب في حدود المعقول .
وقالت تقابل الخبث بالخبث :
— معقول التجار الذين أنت واحد منهم .
وأكلت ضاحكة :

— في حدود المعقول هذا سيكون كسبك .
والعشرة بالمائة التي تؤديها لي تكون هي كذلك
في حدود المعقول .

قال مستسلما :
— قاتلك الله من عجوز . اذهبي . ولك
ما يرضيك .

كانت زينب بانتظار العجوز زهرة على أحر
من الجمر . فالحوف على دنائرها كان قد جعلها

فريسة قلق يزداد في كل ساعة تمر . وبأي
ثمن كان تريد استبدال هذه الدنانير .

بشيء من الخسارة ؟ ليكن .. أليست خسارة
البعض خيرا من خسارة الكل ؟

وان لم يكن أبو زيد الكوفي هو من يحل
مشكلتها . يحول دون ظهور الكذبة التي أخفتها
حتى الآن عن زوجها . فمن يمكنه حل هذه
المشكلة ؟ لا شك في أن الله هو الذي بعث
زهرة للتوسط بينه وبينها .

وعادت زهرة . وضمت بها الى أبي زيد .
وكاد قلبها يتوقف عن الحركة . عندما قال لها
هذا : ان دنائرها العربية تخسر خمسة وعشرين
بالمائة من قيمتها . قالت :

— خمسة وعشرين بالمائة تخسر هذه الدنانير ؟!

قال متصنعا الجد والصدق :
— على الأقل . وأنا . لولا صديقتنا زهرة
ورغبتها في أن أقدم لك هذه الخدمة لما كانت
لي مصلحة في ابدالها لك .

ورددت زينب :
— خمسة وعشرون بالمائة ؟!

قال مفصلا :
— عشرون منها لبيت المال .
— لبيت المال ؟

— فرق وزن الذهب .
— والخمسة الباقية لك .
— عمولة .. أتستكرئينها ؟
— ليست هذه أهم ما في الأمر .

وتدخلت زهرة . كمن تريد دعم موقف زينب .
وقالت :

— زوجها من تعرف . أحد صغار التجار
المسرفين . ما يدخل الى يده لا يصل الى جيبه .
قال ساخرا :

— ولذا ظل صغيرا .. أسطورة الكرم الخائمي
هو أحد ضحاياها . وكان يجب أن تكون له
امراة عاقلة لتدخر شيئا من المال خفية عنه .

وقال لزينب . مطريا عملها :
— عافاك الله احتفظي بمالك . واباك أن
تدعيه يعرف به . فيدده بجهله . واعرابا عن

تقديري لك أتنازل عن كسبي . وبدلا من حسم
خمسة وعشرين بالمائة أكفي بالعشرين . بالقيمة

العائدة لبيت المال ، فهل يرضيك تنازلي هذا ؟
— أجل ، واليك بالمال .

قال ، كأنما ارتياحه :

— نعهده ، وننقدك أربعمئة دينار .

خمسمة بأربعة .. خسارة كبرى . ولولا خوفها من عقبى التردد ، في مراعاة الظروف التي تفرضها ، لطار صوابها دون الرضي بها .

وعرفت العجوز الماكرة ما يدور في خلدها ، فتصنعت ما ليس من شيمتها ، وقالت لها :
— عوضك الله ، يا ابنتي .

وعادت زينب الى البيت ، كمن تعود من تتبع جثمان حبيب الى القبر ، ومع ذلك فقد كان عليها أن تتكلم وتتجلد لئلا تضطر الى الافضاء بسرهما لزوجها .

ورجع حمدان من بيت المال . ولم يكن على شيء من الهم ، الأمر الذي أثار دهشتها ، فقالت له :

— هل استبدلت المال ؟

— نعم استبدلته .

— بكم الألف ؟

قال ، وقد أخذته الدهشة :

— بكم الألف ؟

قالت ، وقد ابتدأ صدرها يعلو ويهبط :

— بشمانمئة ؟

قال ، وقد ازدادت دهشته :

— بشمانمئة !.. لماذا ؟

قالت مرتبكة :

— لأن نقدنا العربي الجديد ينقص ذهبه عشرين بالمائة عن ذهب غيره وزنا .

قال ضاحكا :

— ينقص ذهبه .. تقولونها وكأنك إحدى المتخصصات بعلم النقد والمال ، فعمن ترددتين هذا ؟

وتوقف الكلام في حلقها ، فأردف قائلا :

— عن عجائز الحي . ما عند عجائز الحي بعد مما لم يصلنا خبره ؟!

قالت بعصبية ظاهرة :

— دعنا من المزاح ، وقل لي : بكم استبدلت الألف دينار ؟

قال ، وقد ارتدت لهجته طابع الجد :

— بألف دينار .

— بألف دينار .. الدينار بدينار . لم تنقص قيمته إذن ؟

— لم تنقص قيمته . عن غير عجائز الحي ترددتين هذا . فهل تدرين لأي خطر يعرضنا تردیده ؟

وشدد على الكلام قائلا :

— لخطر السجن والتغريم . أما سمعت المنادي يقول : كل من يرفض قبول النقد الجديد ، أو حاول التعامل بأي نقد سواه ، أو حدثه نفسه بالتقليل من قيمته ، عوقب بالغرامة أو بالسجن ، أو بالعقوبتين معا ؟

— السجن والتغريم ..؟

وأطل الحقد من عيني زينب . لقد عبث أبو زيد بها ، وعلى اللعين أن يلقى جزاء عمله ، وعادت لا تقوى على كتمان أمرها ، فقالت :

— لن نكون نحن من يسجن ويغرم . يسجن ويغرم من يغتنم الفرص للعبث بنا . ولتنصخيم ثروته من عرقنا ، ووفر عمرنا .

وأدهش قولها حمدان ، فقال :

— لك قصة ، يا امرأة .

قالت ، والقول يتعر على لسانها :

— أجل لي قصة . وعفوا أسألك عن قصتي ، وإن تكن غير ما يستوجب اللوم ، ويسأل العفو عنها .

وأطلعت على ما كان من أمرها .

بلغت دولة العرب في عهد الأمويين ذروة عظمتها ومجدها .. في الشرق والغرب فتوحات عسكرية . وفي دمشق العاصمة فتوحات من نوع آخر ، ليس التحرر من النقد الأجنبى غير واحد منها .. النقد الرومي من جهة ، والنقد الفارسي من جهة أخرى . وكان عبد الملك ابن مروان على كرسي الخلافة ، عندما فكر مليا في أمر النقدين ، فإذا هما قيدان من أثقل القيود في يدي دولته . قال :

— نبلهما بنقد عربي .

وكان النقد العربي الأول . وأقبل الناس عليه ، وكان لا بد من اغتنام بعضهم الفرصة للاتجار به ، على نحو ما تقدم .

وراح حمدان الى صاحب الشرطة بما سمع من قصة زينب . وصاحب الشرطة بالمرصاد لكل من لا يتقيد بأمر أمير المؤمنين . قال :

— أبو زيد التاجر .. أعرف خبث الرجل . أياكون لم يسمع النداء ؟

قال حمدان :

— النداء سمعه ، وتصامم عنه .

— وتصامم عنه . جريمته إذن مزدوجة : التقليل من قيمة نقد الدولة ، والخزء بالأمر المهادف الى صون هذا النقد .

— يضاف اليهما العبث بربة بيت بسيطة تملك مالا ادخرته درهمها فدرهما لوقت الشدة .

— يقدم حسابا عن هذه كلها .

قال صاحب الشرطة هذا ، وأمر باحضار العجوز زهرة أولا . ولما أحضرت ، قال لها :

— اقتربي يا امرأة . أتعرفين أين أنت ؟ فتلعثمت ، والخوف آخذ منها . فاستطرد قائلا :

— فسي دار الشرطة ، وصاحب الشرطة يخاطبك ، فأياك أن تحاولي تضليله .

— أمة أنا لسيدي .

— سيدة كوني لا أمة . والسيدة الحرة تقول الحق ، ولو ان قوله عليها . أتعرفين هذا الرجل ؟

وأشار الى حمدان ، قالت :

— هذا جارنا حمدان .

— وتعرفين أمرته ؟

— أمرته زينب .

— أياها .. ما حكايتك معها ؟

قالت متغاية :

— حكايتي معها ..؟

— ومع أبي زيد التاجر ؟

— ومع أبي زيد ..؟

— نعم .. حكاية الدنانير الرومية واستبدالها .

— الدنانير الرومية ..؟

— بكم بدلها ؟

— من ؟

— أبو زيد . وكم أعطاك سمسة عليها ؟

— ما أعطاني ..

ونفذ صبر صاحب الشرطة ، فنادى :

— حاجب .

وأقبل الحاجب مليا :

— سيدي ..

— تسلم هذه العجوز الى الشرطة ، وتطرح في السجن على الفور .

وأحست العجوز كأن الدنيا تدور بها ، فخرت على الأرض متوسلة :

— بابي أنت وأمي . مهلا ، فأصدقك الخير . وحكت له الحكاية .

• • •

المنادي يعلن : ليكون معلوما .. المهلة المحددة لاستبدال النقد الغريب بالنقد العربي تنتهي بعد غد ، فعلى من لم يتقدم لاستبدال نقده أن يبادر الى بيت المال لاستبداله قبل فوات الأوان .

وفي بيت المال وخارجه تحتشد الجماهير ، وكل ينتظر دوره لاستبدال ماله . ومن خلال الحركة واللغط اللذين يسودان المكان ، ارتفع صوت ينادي :

— أبو زيد الكوفي يدخل على الفور . ودخل أبو زيد . وكان صاحب الشرطة في استقباله ، فقال له ضاحكا :

— يدهشك يا أبسا زيد أن تدخل الى بيت المال ، وتقع على صاحب الشرطة . وتابع قائلا : — كم معك من المال ؟

وإذا كان وجود صاحب الشرطة في بيت المال أدهش أبسا زيد ، فإن السؤال الذي طرحه كبير رجال الأمن ذاك عليه ملأ قلبه خوفا ، فقال والقول يتعثّر في فمه :

— عشرة .. عشرة آلاف دينار . وهذه المرة الثانية التي تأتي فيها الى هنا لاستبدال نقدك ، فما القيمة التي استبدلتها في المرة الأولى ؟

— عشرة آلاف .. يا سيدي .

— وبكم بدل لك الدينار ؟

— الدينار ١٩٠٠ !

— بدنيار . أليس كذلك ؟

— بلى .. يا سيدي .

— والآن ، أتدري أن قيمة النقد العربي الجديد هبطت البارحة عشرين بالمائة ؟

كاد الذعر يصعقه ، وقد عرف ما يعني صاحب الشرطة بقوله ، فهتف قائلا :

— سيدي ...

ولم يقو على متابعة الكلام ، فقال له صاحب الشرطة ضاحكا :

— هذا ما حصل . واليوم ، سجلت قيمة هذا النقد هبوطا آخر قدره عشرون بالمائة . وانقضت الصاعقة على رأس أبي زيد عندما

تابع صاحب الشرطة ، وقد ارتدى قوله طابع الجد :

— وعلى هذا يؤدى لك ، بدل العشرة الآلاف التي تحمل ، ستة آلاف دينار .

وأجهش الرجل بالبكاء ، فقال رجل الأمن :

— لا تبك ، يا رجل ، أخرى بالبكاء منك المرأة التي لم تتورع عن تزوير الحق لسلها مالها . — رحماك ، يا سيدي ..

ورجل الأمن والعدالة يعلم أن من رحم المجرم ظلم البريء ، فقال :

— ما رحمت لترحم .. خفضت نقد الدولة زورا لكسب القليل من المال ، وأنت تعلم أن القليل الذي كسبت كثير بالنسبة الى صاحبه ،

والى الزمن الذي قضته هذه في جمعه لوقت الشدة . فأنت منهم :

أولا ، بالاحتيايل على مؤمنة بسيطة شريفة

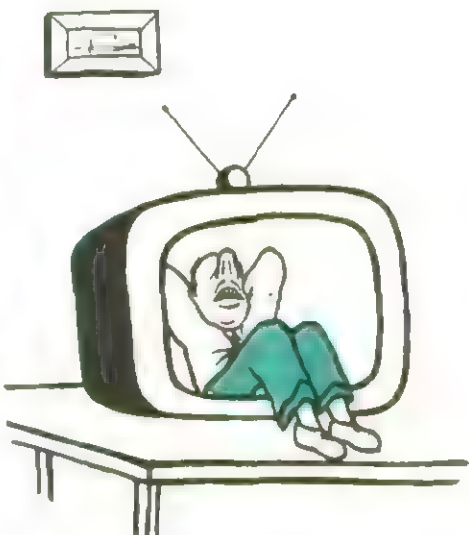
وسلبها ذخّر غدها من مال جمعته بشق النفس والحرمان . وعلى ذلك تكون الأربعة الآلاف دينار التي تغرم بها جزاء هذا الاحتيايل .

وثانيا ، بآثارة الشك حول قيمة النقد الذي أصدرته الدولة لاستكمال أسباب سياستها ، وذلك هو الأهم والأخطر ، وسينظر القضاء فيه ، ويعاقبك عليه .

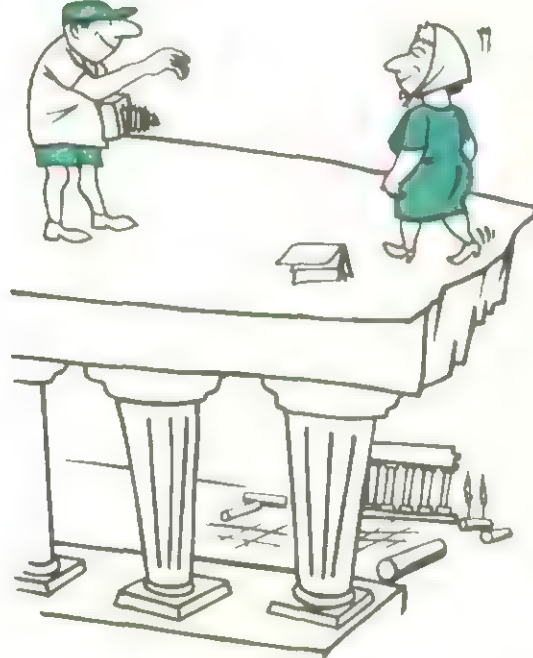
لاريكاتير



هكذا اغرقت الباهرة .. اعطني هذا من يدك !

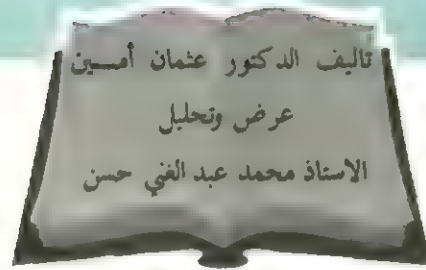


فترة استراحة ؟ ! ..



خطوة صغيرة الى الوراء يا عزيزتي

الحوار



فصلا في صفحة ١١٣ يقول فيه : « قد يسأل القارئ عن « الجوانية » ما هي ؟ فأقول انها عندي « فلسفة » . وخير من هذا : « طريقة في التفلسف » ، ولا أقول أنها مذهب ، لأن المذهب من شأنه الانغلاق متى رسمت حدوده مرة واحدة . أما الفلسفة أو التفلسف فمفتوح على النفس وعلى الدنيا .. »

أنستبط من هذا ومن غيره أن « الجوانية » — عند المؤلف — هي سلوك في الحياة أكثر مما هي قواعد مذهب يفتح وينغلق تبعاً لاختلاف التعاريف وتباين الحدود ؟ ليكن ذلك !

فلنكف عن طلب تعريف لها ولنلتبس مظاهرها في الأدب والحياة ، وإن كانت هي في الحقيقة شيئاً وراء المظاهر الخارجية . ولعل اسمها المقابل على سبيل التضاد « البراني » ، هو الذي يدل على نظرتها النافذة الى جوهر الأشياء والأشخاص . وفرق شاسع بين مفهوم « الجواني » ومفهوم « البراني » . فالنظر البراني يعتمد على « الواقع » وحده ، أو على « المتحققات » أو نظام الوقائع الراهنة ، والمعطيات المباشرة . ومعلوم أن « الواقع » — كما يقول أحد الفلاسفة ليس هو كل شيء ، أما « الأمكاني » — أو ما حقه أن يكون — فهو كل شيء . فالواقعيون هم الذين لا يحسبون حساباً الا لما هو مائل وواقع ، أما ما وراء الواقع ، وما يجاوز الاحصائيات والمشاهدات فتعجز أبصارهم — ولا أقول بصائرهم — كما قالها المؤلف

أكثر مما أشعر به نحوها . أنا مدين لها في الحقيقة بما غرست في نفسي من الثقة بالله وبنفسى .. » فالثقة بالله ، والايان الراسخ به ، ثم الثقة بالنفس ، من دعائم السلوك العملي للنظرة « الجوانية » التي يدعو اليها الدكتور عثمان أمين ، والذي لقي في سبيل الدعوة لها هجوماً من النقاد ، ودفاعاً من مؤيديه ، فكان في هذا التوازن بين الهجوم والدفاع عزاء عما يلقاه صاحب الفكر من معارضات ومهاجمات .

يصرنا اهداء الكتاب عن الكتاب نفسه ، الا بقدر ما يتصل بموضوع « الجوانية » التي بني عليها البحث كله . والآن يحق لنا أن نسأل عن الاتجاه الجواني : ما الذي يعنيه به المؤلف ؟ وهل للجوانية تعريف كذلك التعريفات الجامعة المانعة عند المناطقة ؟ لقد كنا ننتظر في القديم الطويل — الذي جاء معقبا للاهداء — تعريفاً بالمذهب على نحو ما يصنع المفكرون في التقديم لمذاهبهم ، ولكن المؤلف في نهاية تقديمه ينيب الى انه ليس يوجد للجوانية — من حيث هي فلسفة مفتوحة — تعريف أو حد بالمعنى المنطقي الدقيق للحدود والتعريفات ، فالجوانية — عنده — على الطريق دائماً ، ولا تعرف الوقوف ، ولا تريد الانغلاق ..

وقد أدرك المؤلف — وهو الباحث دائماً عن حقائق الأشياء — أن نفس القارئ لا تزال بحاجة الى السؤال عن ماهية الجوانية . فبدأ

النظر في هذا الكتاب — قبل التعرض لموضوعه — ذلك الاهداء الكريم من المؤلف الى أمه ، على الرغم من أنها أمية .. وماذا تغني القراءة والكتابة اذا كان صاحبها أمي الفكر ؟ وما أبرع صديقنا الدكتور عثمان أمين وهو يخاطب أمه في اهداء هذا الكتاب اليها قائلاً : « صحيح أنك لست بقارئة ولا كاتبة على المعنى (البراني) المؤلف . ولكن أصح منه أنك — في نظري — أقرأ الناس وأكتبهم على المعنى (الجواني) الأصيل .. » فكثير من الناس لا يقرأون ولا يكتبون قسداً أنجبوا للانسانية مفكرين أصلاء . وقد أحسن المؤلف هنا استغلال هذه الفكرة في التأصيل لقضية « الجوانية » التي هي موضوع الكتاب كله . فهو يعترف في السطور الأولى من اهدائه بأن أمه هي أول انسان استطاع أن يعلمه ، بطريقة عملية نفاذة بواد الجوانية التي تركز في الايمان الراسخ بالله ، والثقة الوطيدة بالنفس ، والاعتقاد الجازم بالحرية .

والحق أن حب الدكتور أمين لأمه واعترافه بفضلها — على الرغم من عدم معرفتها القراءة والكتابة — أمر غير منكور . فقد ترجم يوماً — منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاماً — قصة « صادق ، أو القدر (١) » لقولثير ، وخطر له ، اذا قدر لها أن تنشر ، أن يجعل اهداءها الى أمه « فاني لا أرى لأحد من الناس فضلاً عليّ

سها - عن ادراكه ورويته .

فالجوانية لا تعتمد على الحواس وحسب ، ولكنها تعتمد على ما وراء ذلك ، لأنها في صميمها تنطوي على ضرب من « الميتافيزيقيا » يمكن تسميته « بالروية الواعية » ، وهي ليست رؤية الحواس العضوية ، بل هي رؤية روحية نفسية داخلية ، يمكن أن نسميها الرؤية « بعين البصرة » .

ذلك هو كل ما بين الجوانية والبرانية **ليس** من فروق . فالبرانية تعتمد على الحفظ والترديد على حين تعتمد الجوانية على الفهم والاستقلال بالفكر ازاء الناس وأزاء الأشياء . فالبرانية آلية غير واعية ، وهي مشدودة الى التقيد بالحرفية شدةً يضيع معه الفهم والتعمق في النظر الى الأشياء . أما الجوانية فتستند على تركية « الوعي » الانساني ، وتحرير الفكر من التقيد الذي يشل التفكير .

ولعل أجمل ما في الفلسفة الجوانية هو بعدها عن النظرة المادية الحسية التي قد تخطئ أحيانا ، كما نرى في خداع الحواس . وأجمل ما فيها كذلك ايمانها الراسخ بأن القوة الحقيقية هي قوة الروح والمثل الأعلى . فهي محاولة متجددة للاعلاء من قوة الانسان الاصلية ، وهي القوى المثالية الروحية التي تعجز أمامها القوى المادية في الحياة . والفلسفة الجوانية - كغيرها من الفلسفات الصحيحة الواعية - تنأى بالانسان عن أن يكون انزاليا ، أو من سكان الابراج العاجية ، أو من المشبهين بأسباب الوهم والخيال . انها فلسفة عملية تصحح سلوك الانسان في الحياة على أسس من الحرية ، والفهم ، والوعي ، والروية الواعية ، والخلق السوي . والفيلسوف الذي يراعي مواقع الأفلاك والنجوم ويغفل عما في نفسه وعما في مجتمعه الانساني . هو فيلسوف سلبى لا نفع منه يذكر للحياة والاحياء .

لقد كان الامام . محمد عبده ، فيلسوف الوعي الديني ، من أصحاب الفلسفة الجوانية التي تأبى الانزال والانطواء . والاستشهاد بالشيخ محمد عبده هنا ليس من عندنا ولكنه من عند الدكتور عثمان أمين الذي لفت نظره اليه نسخة من تفسيره لجزء عم ، أحد الكتب الأربعة المودعة في خزنة والده ، ولم يكن في تلك الخزنة سواها . وذكر اسم الشيخ محمد عبده هنا يسوقنا الى الحديث عن علاقة الروح بين الاستاذ الامام وبين الدكتور عثمان أمين . فلقد

كان تلمذ عثمان أمين على المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق - تلميذ محمد عبده - سببا في اهتمام الدكتور عثمان بفلسفة الاستاذ الامام واختيارها موضوعا لرسالة الدكتوراه من السوربون ، كما كانت سببا في أن يكتب عنه كتابين أحدهما عنوانه « محمد عبده » وثانيهما عنوانه « رائد الفكر المصري الامام محمد عبده » . والحق ان اسم محمد عبده قد تردّد في كتاب « الجوانية » قرابة ثلاثين مرة .

محمد عبده ككتابات ابن **كنازلت** تيمية تحمل في صميمها رسالة تجديدية اصلاحية واعية ، ترمي الى تحقيق التغيير الجواني ، الذي هو شرط للتغيير البراني ، تصديقا لقوله تعالى : « ان الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » . والحديث عن هذه الحفنة من الاعلام يسوقنا الى الحديث عن الماتتين وأكثر من الاعلام الشرقية والغربية ، والقديمة والمحدثة التي أوردها المؤلف في كتابه ، ووضع لها في آخر الكتاب كشافا أبجديا يسهل الرجوع اليها ، والوقوف عليها . فان مثل هذا الكشف يدل على العقلية المنظمة ، والذهنية المرتبة التي نعرفها عند صديقنا الدكتور عثمان أمين .

ولم يكتف المؤلف بهذا المعجم للأعلام ، فأضاف اليه كشافا أبجديا بالمصطلحات الفلسفية الكثيرة والعبارات المنطقية التي يصادفها القارئ في هذا الكتاب . والتي دارت في الصفحات مرات ومرات .

وواضح أن هذا التنظيم والترتيب والتيسير على القارئ هو سمة من سمات العقلية الواضحة التي يمتاز بها المؤلف في تعبيراته ، وفي تأديته للأفكار على أظهر وجوها فما عرفت من الدكتور عثمان أمين - وقد عرفته وصادقته لأكثر من ربع قرن - غموضا في فكرته ، أو خفاء في عبارته ، أو ابهاما في أدائه . انه لا يزال يقلّب المعنى ويديره في براعة وتيسير ، حتى يجعله مأنوسا عند قارئه وسامعه على السواء . ومن هنا نجح في اقناع من يتحدث اليهم في المسائل الفلسفية التي تلازم الغموض عند بعض المؤلفين . ونضعه في هذا قرينا للأستاذة والدكاترة : مصطفى عبد الرازق ، وأبي العلا عفيفي ، ومحمود الخضيرى ، وأحمد فؤاد الأهواني ، وزكي نجيب محمود ، وزكريا ابراهيم ، ومن اليهم من أصحاب العبارة الفلسفية المشرفة الواضحة .

مع وضوح الدكتور عثمان أمين صراحته التامة الى حد الافضاء الى قارئه بخصوصيات والده ، وكثرة زواجه ، والخلاف العائلي بين المؤلف ووالده . وما كنت أدرك هذه الخصوصيات أن تظهر في معرض الحديث عن « الجوانية » ! ولكن المؤلف كان حريصا على أن يعقد بابا من كتابه للحديث عن بوادر الجوانية عنده . فلم يكن له بدّ من التحدث عن حياته من القرية الى الجامعة .. وهكذا ساقه الحديث عن سيرته ونشأته ، الى الافضاء بما كان لديه مندوحة عن الافضاء به .

وقد يقال ان الباب الخاص ببوادر الجوانية عند المؤلف ويوميته وسوانحه المطوية ، هو باب لم يكن له محل في كتاب يتحدث عن الفلسفة الجوانية وأصول عقيدتها . ولكن الدكتور عثمان أمين « جواني » أصيل ، يردّ الأشياء الى أصولها ، ويتعقبها الى أسبابها الأولى . وكان من هذا التعقب المتأنّي الدقيق فصله الممنوع عن الجوانية في فلسفة اللغة العربية ، وفصله الآخر عن الجوانية في الأخلاق الاسلامية ، وفصله الخاص عما أعدّ الله به الأمة الاسلامية والعربية لتكون صاحبة رسالة جوانية .

بقيت كلمة حول حفنة قليلة من أخطاء مطبعية وغير مطبعية وقعت في الكتاب ، وكنت أرجو له السلامة منها . فبيت الشاعر أبي تمام الذي قاله في علّة أحد ممدوحيه فصوابه هكذا بدون واو زائدة في أوله :

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت

ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

وبيتا عباس محمود العقاد - ص ٢٩ -

الذان جاء نقص في روايتهما ، صوابهما هكذا :

وأنا لمرأة لما في زماننا

تحدث عنه حيث نلري ولا نلري

تفيض لنا أفراننا من نفوسنا

وما فاضت الدنيا لنا بسوى البشر

وبيت عروة بن الورد - ص ١٦٤ - صوابه

هكذا :

أي الله كيف حبت نفسي

على أمر ويكرهه ضميري ؟

واسم صاحب مجلة الرسالة هو أحمد - لا

محمد - حسن الزيات ، كما ورد ، وهما في

صفحة ٦٥ ، ولكنها - على كل حال - مأخذ

« برانية » لا تحجب الجوهر الجواني الأصيل ، لهذا الكتاب القيم .

الحركة الأدبية في العالم العربي

افلاطون « لفيلسوف اليونان الكبير ، وهي ثالث ترجمة لهذا الكتاب ، اذ سبقتها ترجمة للمرحوم الأستاذ حنا خباز وأخرى اشترك فيها الدكتور محمد مظهر سعيد وقرينته الراحلة السيدة نائلة الحكيم . وفي الوقت عينه أصدر الدكتور فؤاد زكريا « دراسة لجمهورية أفلاطون » في كتاب مستقل درس فيه النظريات الواردة في هذا الكتاب . في الأدب الروائي بألوانه ظهرت ثلاث روايات هي « خطي في الفراغ » للأستاذ مبخايل معوض ، و « الظامئون » للأستاذ عبد الرزاق المطلبي ، و « خمسة أصوات » للأستاذ غائب طعمة فرمان . وصدرت للأديب الراحل الأستاذ طاهر الطناحي مجموعة أقاصيص عنوانها « نشيد الكروان » ، وهناك مجموعات أخرى منها « الأيام الخضراء » و « هذه اللعبة » وكلتاهما للأستاذ ثروت أباطة و « حياة قاسية » للدكتور شاكرك خصبك . كما ظهرت مسرحيتان في مجلد واحد للأستاذ عبد المنعم سليم هما « السعادة الزوجية » و « القنيل » .

من كتب التربية وعلم النفس التي صدرت أخيرا « قوة التفكير الإيجابي » لنورمان بيل وترجمة الأستاذ يوسف اسكندر ، و « اعداد معلم المرحلة الأولى » للأستاذين مصطفى زيدان ونجيب فايق اندراوس ، و « دعوة المعلم العظيم » لداريائي لال القاضي وترجمة الأستاذ زكي عوض ، و « مفهوم الحرية في التربية الحديثة » للأستاذين مصطفى زيدان ومحمود الشربيني ، و « القيم والعادات الاجتماعية » للأستاذ فوزي دياب .

ظهرت في مجالات العلوم المختلفة مجموعة من الكتب مثل « ثروات جديدة من البحار » للدكتور أنور عبد العليم ، و « أعماق الكون » للأستاذ سعد شعبان ، و « البحوث العلمية الصناعية » للأستاذ علي الدولتي ، و « المتالورجيا الفيزيائية » للدكتور أحمد سالم ، و « الموالح » للدكتور محمد مهدي العزوني .

الفن القصصي « لغري ونالي توماس وترجمة الأستاذ عثمان نويّة

من كتب السير التي ظهرت أخيرا هذه المجموعة « تراجم عربية » للأستاذ محمد عبد الغني حسن وفيه عرض لحياة صفوة من أعلام الضاد وآثارهم ، و « عبد الرحمن الأوزاعي شيخ الاسلام وامام أهل الشام » للأستاذ طه الولي ، و « ابن غلبون مؤرخ ليبيا » للأستاذ علي مصطفى المصراطي ، و « أبو الفرج الأصفهاني وكتابه الأغاني » للأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعي ، و « بدر شاكر السياب — رائد الشعر الحر » للأستاذ عبد الجبار داود البصري ، و « جان دارك » للأستاذ عبد اللطيف محمد الميماطي .

من دواوين الشعر الجديدة التي أخرجتها المطبعة العربية حديثا هذه الطائفة : طبعة ثانية من الديوان الأول للشاعر الأستاذ محمود حسن اسماعيل الموسوم « أغاني الكوخ » ، و « لوحات شعرية » للأستاذ عبد الله كتنون ، و « شموع على الدرب » للأستاذ علي هاشم رشيد ، و « نبضات قلب » للأستاذ محمد حسين آل ياسين ، و « أغاني الليل » للأستاذ شكر الله الجبر ، و « النار والطين » للأستاذ راضي صدوق ، و « الموت في الحياة » للأستاذ عبد الوهاب البياتي ، والجزء الأول من « ديوان العثمان » للمرحوم الأستاذ عبد الله عبد اللطيف العثمان ، و « ديوان الرفاعي المتنوع » للأستاذ عبد المحسن الرفاعي .

ترجم الدكتور عبد الرحمن بدوي عن الألمانية « الديوان الشرقي » للشاعر جوته ، وهو ما نظمه من شعر مستوحى من ربوع الشرق .

صدر للدكتور عثمان أمين كتاب نفس عنوانه « محاولات فلسفية » ، كما صدر للدكتور ملحم قربان كتاب « اشكالات » وهو يعالج قضايا فلسفية وفكرية شتى .

قد ترجم الدكتور فؤاد زكريا « جمهورية

ظهرت طبعات جديدة من نقائس المعاجم اللغوية والفنية ، منها « محيط المحيط » فسي جزئين ، و « قطر المحيط » في جزئين وكلاهما للمعلم بطرس البستاني ، و « فاكهة البستان » للشيخ عبد الله البستاني ، و « مدد القاموس » في اللغتين العربية والانكليزية وهو في ثمانية أجزاء من تأليف ادوارد وليم لين ، و « قاموس الذخيرة العلمية » انكليزي عربي للمستشرق الدكتور جورج برسي بادجر ، و « القاموس الفلكي » انكليزي عربي للأستاذ منصور حنا جرداق ، و « المعجم القانوني » انكليزي عربي للقاضي حارث سليمان الفاروقي .

كذلك ظهرت طبعات جديدة من بعض كتب التراث منها « الأصمعيات — أخبار الأصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قرب » تحقيق المرحوم الأستاذ أحمد محمد شاكر والأستاذ عبد السلام محمد هارون ، و « المغرب في حل المغرب » الجزء الثاني الخاص بالأندلس لابن سعيد المغربي تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، و « رسالة الغفران لأبي العلاء المعري » ومعها « رسالة ابن القارح » من تحقيق الدكتور بنت الشاطي ، و « الفصول الياقة في محاسن شعراء المائة السابعة » لأبي سعيد أبي الحسن علي ابن موسى الأندلسي تحقيق الأستاذ ابراهيم الياياري .

من الدراسات الأدبية الجديدة ظهر كتابان في النقد هما « النقد الأدبي المعاصر في الربع الأول من القرن العشرين » للدكتور اسحق موسى الحسيني ، و « النقد الأدبي — تاريخه ونظرياته » للأستاذ محمد عبد الرحمن شعيب ، وكتابان في المباحث الأدبية هما « الملتقطات » للأستاذ يوسف بن عيسى القناعي و « بحوث أدبية » للأستاذ عبد الصاحب شكر ، وكتابان في الدراسات الروائية هما « قضية الشكل الفني عند نجيب محفوظ » للأستاذ نبيل راغب و « اعلام

بلاد جميلة ، حباها الله المناخ العليل والماء السلسيل والتربة الجيدة والأيدي النشيطة
التي عمرتها ، فجعلت منها مزارع خصبة تنتج مختلف أنواع الخضار والحبوب والفواكه .



بلاد غامد

وزهران

يعرض الباعة المتجولون سلمهم في كل قرية من قرى غامد
وزهران يوما في الاسبوع .



جانب من إحدى قرى بني عمرو ، وقد بدأ في مقدمتها حقل من الذرة .

ودوس ، وقلوة . ولكل من هذه الإمارات أمير يتبع له شيوخ قبائل الإمارة ، ويقفون عند رأيه . وفي مدينة الباحة تقع فروع مختلف الوزارات ، ورأسه محاكم المنطقة ، ودار البلدية ، ومدرستان للبنين ، أحدهما متوسطة والأخرى ابتدائية ، بالإضافة إلى مدرسة ابتدائية للبنات . ولدى البلدية العديد من المشاريع المهمة ، منها بناء مسلخ وسوق للخضار واللحوم ، وسفلة شوارع البلدة الرئيسية .

قبائل المنطقة

ينتسب سكان المنطقة إلى قبيلتين تدعى المنطقة باسمهما ، هما غامد وزهران . فتحت اسم غامد تنضوي خمس عشرة قبيلة هي : بنوعيد الله ، وشدا ، وبنو خثيم ، وبنو ظبيان ، وبنو كبير ، والرهوة ، وبلجرشي ، وألبا الشهم ، ورفاعة ، والحلة ، والزهران ، والهجاهجة ، والمسلم ، والقنازعة ، والزوابع ، والعبيدات ، والطالب ، وغامد الزنات . والسبع الأوائل من هذه القبائل هي قبائل الحضر ، والبقية الباقية هي قبائل البادية . أما زهران فتجتمع تحت لوائها ٢٤ قبيلة جميعهم من قبائل الحضر . فالقبائل التي تسكن منطقة السراة (المنطقة الجبلية) هي : بنو عام ، وبنو

منطقة غنية بالمراعي والزراعة والمياه ، ولكن معظم ينابيعها تعتمد على نسبة سقوط الأمطار ، وتجف في أواخر الصيف . أما عن المناخ ، فمناخ الجبال معتدل قليل الرطوبة صيفا ، وبارد شتاء ، بينما مناخ وادي تهامة حار شديد الرطوبة صيفا ، ومعتدل قليل الرطوبة شتاء .

مقر الإمارة

بقيت مدينة بلجرشي لمدة طويلة مقرا لإمارة المنطقة ، إلا أنه في السنوات الأخيرة الماضية ، انتقل مقر الإمارة إلى مدينة الباحة ، وذلك لأنها تقع وسط مختلف مدن المنطقة . ويبلغ عدد سكان مدينة الباحة ٨٠٠٠ نسمة ، وهي تتطور وتنمو بشكل ملحوظ وفيها حركة عمران وبناء . ومعظم منازلها مبنية بالأسمنت على الطراز الحديث . أما المنازل القديمة فمبنية بالحجارة ، وهي سمكة الجدران ، على غرار بناء القلاع . ويشرف على إمارة المنطقة أديب سعودي معروف ، هو سعادة الأمير سعود ابن عبد الرحمن السديري . وتتبع لإمارة المنطقة إحدى عشرة إمارة فرعية هي : غامد الزنات ، والمخواه ، والحجرة ، وبلجرشي ، والقيق ، وبيدة ، والقرى ، وبنو حسن ، والمندق ،

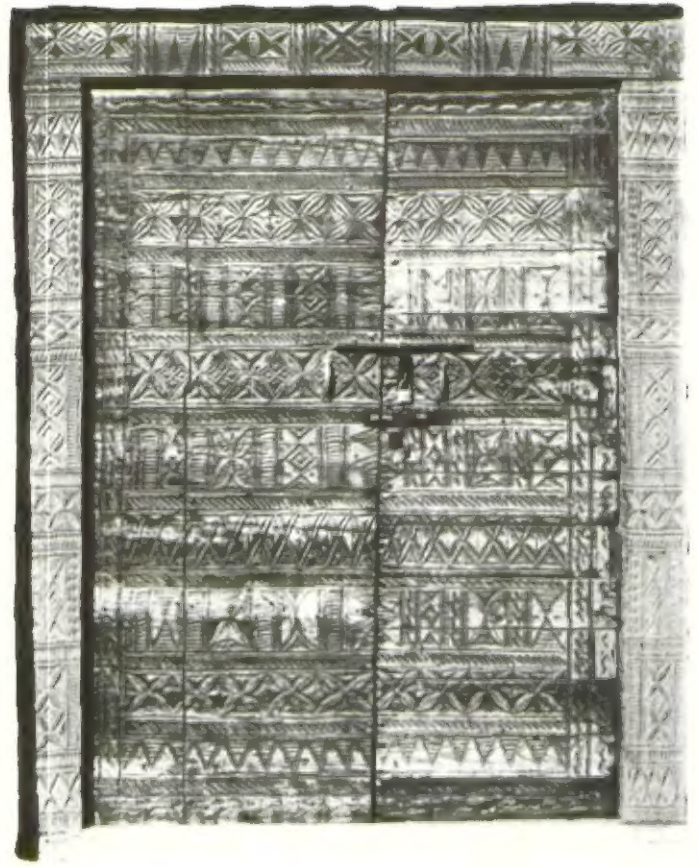
أمد بعيد والشوق يخالجنني إلى رؤية من وصف جميل لها ، ووات الفرصة بعد حين ، فاغتنمتها في رحلة ممتعة ، استطعت من خلالها أن ألم بمختلف مرافق هذه المنطقة لأحمل للقارئ صورة صادقة عنها ، وعما يتوقع لها من مستقبل زاهر . ولن أتحدث في هذه العجالة عن الرحلة ومصاعبها والقرى التي زرتها ، ولكنني سأقصر كلامي على المنطقة بصورة عامة من حيث مناخها ، وقبائلها ، وعاداتها ، ومواصلاتها ، والتعليم والعناية الصحية فيها ، وما إلى ذلك .

الموقع والأمطار والمناخ

تقع منطقة الباحة ، أو بلاد غامد وزهران ، جنوبي الطائف ، وهي منطقة متسعة الأرجاء ، تمتد من حدود بني مالك غربا إلى حدود خذعم شرقا ، ومن حدود منطقتي قرية ويشة شمالا إلى حدود منطقة القنفذة جنوبا . وتقسم هذه المنطقة ، بالنسبة للقبيلتين الأساسيتين اللتين تسكنانها ، إلى قسمين ، هما : بلاد غامد ، وبلاد زهران ، تفصل بينهما سلسلة من الجبال ، تعرف باسم «رهوة البر» ، وتمتد على طول المنطقة من الشمال إلى الجنوب . ومنطقة غامد



يكثر نمو أشجار العرعر والزيتون البري على جبال غامد وزهران وسفوحها .



نموذج لباب من أبواب المنازل القديمة المألوفة في مناطق غامد وزهران .

لعمري من مآثر وزارة الزراعة ، لأن التشجير يضيف على تلك المنطقة الجبلية نضرة وجمالا ، ويجعلها مصيف المنطقة الجنوبية ، لما تتمتع به من مناخ لطيف معتدل . وفي هذه الأحياء تبدو أشجار العرعر والعم (الزيتون البري) بشكل ملحوظ ، وقد بوشر منذ بضع سنوات في دراسة وتنفيذ مشروع يرمي الى تطعيم أشجار العم ، وجعلها أشجار زيتون مثمرة .

أما عن الزراعة المثمرة فتجد الأهالي ناشطين في احياء كل شبر تتوفر فيه المياه . وتجد المزارع العديدة الخصبة ترفل بثوبها الأخضر وتختال بما تحمله من أثمار ، لحسن تمهيد المزارعين للترية وعنايتهم الفائقة التي تعودوا عليها . والمزارع اما تكون في المناطق السهلية المنبسطة حيث يستعمل الفلاحون آلات الزراعة المختلفة ، واما تكون على شكل « مساكب » على سفوح الجبال . وهناك تستخدم المحارث التي تجرها الثيران . وتقدم وزارة الزراعة لهؤلاء المزارعين كل عون ومساعدة ممكنة ، بما في ذلك الارشاد والغراس

تفتتح في قرى المنطقة الكبيرة ، وتجد الطلاب يقبلون عليها من القرى الصغيرة المجاورة ، حتى أن بعضهم يجشمون أنفسهم عناء المشي على الأقدام مسيرة ساعة أو أكثر للوصول الى المدرسة والعودة منها . ونتيجة لهذا الاقبال تضمنت المنطقة ٩٧ مدرسة ابتدائية وسبع مدارس متوسطة للبنين ، وثلاث مدارس ابتدائية للبنات ، وثلاثة معاهد علمية للبنين وعشر مدارس أهلية . ويتنسب الى هذه المدارس حوالي ١٢ ألف طالب ، بينما يبلغ عدد المعلمين فيها نحو ٦٧٦ مدرسا من العرب السعوديين ، و ٢٣٢ مدرسا من أبناء البلاد العربية الشقيقة .

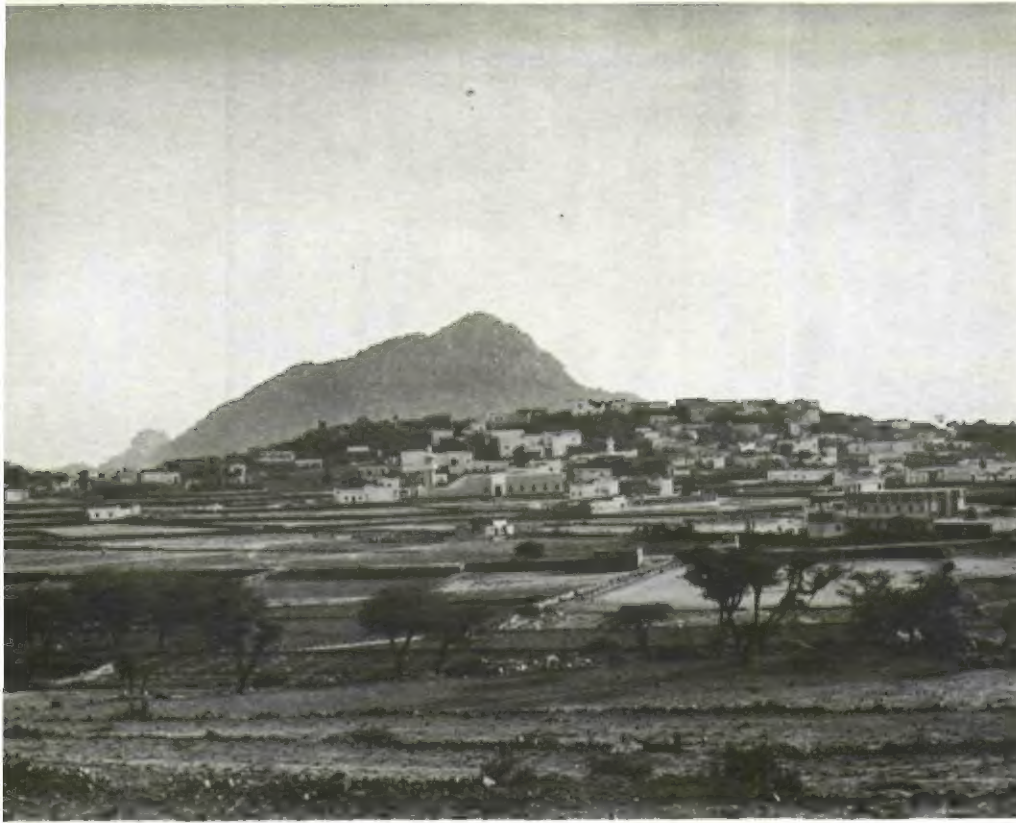
الزراعة

كل من يزور منطقة الباحة يلحظ مدى الاهتمام بالزراعة والتشجير . فعلى جانبي الطريق تبدو عشرات اللافتات التي تحمل العبارات التشجيعية لانشاء الغابات والمحافظة عليها . وهدي

بشير ، وبنو حسن ، وبنو بيضان ، وبلخزم ، وبنو كنانة ، وبنو جندب ، وبنو جرير ، وبنو عدوان ، وبنو منهب ، ودوس العلي ، وبطفيل ، وقريش الحسن . والقبائل التي تسكن منطقة تهامة (أي منطقة الوديان) هي : بنو عمر العلي ، وبنو عمر العياش ، وآل سعد ، والاحلاق ، وبالأسود ، وبالمفضل ، وآل عبد الحميد ، والجبر بني سليم ، وأولاد سعدي ، وآل مقبل ، وآل سهلة .

التعليم في المنطقة

ان اقبال الطلاب على التعليم ومطالبة الأهالي بفتح المزيد من المدارس في المنطقة ، ولا سيما مدارس البنات ، يشير بمستقبل تعليمي ناهض في المنطقة . ومديرية التعليم ، ورئاسة مدارس البنات تعملان ما وسعهما الجهد على تلبية هذه الطلبات . وزيادة عدد المدارس في المنطقة . وفي كل سنة تجد عشرات المدارس تبنى أو



منظر عام لبلدة الباحة التي يبلغ ارتفاعها عن مستوى سطح البحر حوالي ٢٠٠٠ متر .



تنسق الحقول الزراعية على شكل «مساكب» في سفوح الجبال يسهل ريهها .

الزراعية المختلفة ، وتكافح الآفات بالمبيدات ، وتؤجرهم الآلات الزراعية بأسعار مخفضة . كما أن بنك التسليف الزراعي يعطي المزارعين قروضا طويلة الأجل .

أما محاصيل المنطقة الزراعية ، فقسمان : محاصيل وادي تهامة الحارة ، وتشمل الموز ، والدخن ، والذرة . ومحاصيل جبل شدا الواقع في بطن تهامة ، وتشمل البن والذرة . وإذا انتقلنا الى منطقة السراة الجبلية لقينا فيها زراعة الخضار ، والحبوب بأنواعها ، والحمضيات من برتقال « ويوسف أفندي » ، والزيتون ، ومختلف الفواكه الجبلية الصيفية من تفاح ، ولوز ، وخوخ ، ورماد ، ومشمش ، وصبير ، وتين ، وعنب . وما يجدر ذكره أن عنب غامد ذو شهرة واسعة ، فهو ذو قشرة رقيقة وحلاوة طيبة .

الثروة المعدنية

ليست بلاد غامد ببلاد زراعية فحسب وإنما تكمن في بطن جبالها ثروات معدنية كبيرة تبشر بمستقبل صناعي زاهر لهذه المنطقة . فقد بدأ التنقيب فيها بحثا عن الخامات المعدنية المختلفة ، وقد وجد فيها ، خامات الحديد الصلب ، والذهب ، والرصاص .

العناية الصحية

يوجد في المنطقة ستة مستوصفات ، وأحدى عشرة وحدة صحية مزودة جميعها بالمعدات اللازمة وبالأدوية الضرورية ، وهي تقدم للمنطقة العناية الصحية والعقاقير الطبية .

المواصلات

هنالك مشروع قيد التنفيذ لربط المنطقة بطريق رئيسية مسفلتة تمتد من الطائف حتى جيزان مخترقة المنطقة ومارة بعدد كبير من المدن والقرى . وفي الوقت نفسه توجد في المنطقة مصلحة للطرق مزودة بالجرارات والمعدات الثقيلة ، ولديها مشاريع كثيرة تقوم بتحقيقها على مراحل . فالمرحلة الأولى يتم فيها شق طريق الى مقر كل قبيلة من القبائل . وفي المرحلة الثانية يشق طريق الى كل من القرى الرئيسية . والمرحلة الثالثة تشمل تعميم الطرق على جميع القرى . والمرحلة الرابعة تتضمن صيانة الطرق العامة المؤدية الى المنطقة .



« السواني » طريقة ما زالت متبعة لاستخراج المياه من الآبار .

تصوير : خليل أبو النصر

مدن المنطقة

التجار من مختلف أنحاء المنطقة بما لديهم من أمتعة ومنتجات ، فتكون هذه الأسواق بمثابة وسيلة اجتماع وتفاهم وتآلف وتبادل تجاري بين مختلف قرى المنطقة ومدنها . وفي الوقت نفسه ، تمكن الأهالي من سكان هذه المنطقة المحدودة التجارة ، من شراء ما يحتاجون إليه طوال الأسبوع .

منطقة غامد وزهران ، أهلة بالسكان تضم بين جنباتها ما يزيد على مائتي قرية ومدينة ، ومن مدنها الرئيسية ، بلجرشي ، وعدد سكانها يربو على ١٠٠٠٠ نسمة ، وقد كانت ، كما أسلفنا ، مقر الامارة ، والباحة وعدد سكانها حوالي ٨٠٠٠ نسمة ، والظفير وعدد سكانها حوالي ١٠٠٠٠ نسمة ، والمندق وعدد سكانها ٤٠٠٠ نسمة تقريبا .

الآثار التاريخية فيها

لعل ما يثير دهشة الزائر الى منطقة غامد وزهران ، كثرة الآثار التاريخية التي تضمها ، من قلاع وحصون وأبراج . ففيها ما لا يقل عن عشرة آلاف قلعة وبرج منتشرة على معظم قن جبالها وتلالها . ولدى سؤالي عنها لم أستطع أن أظفر بجواب قاطع ، وإنما قيل انها تعود الى عمر القرية التي شيدت على جانبها ، والتي قد يرجع بعضها الى عهد الجاهلية . وقد بنى هذه القلاع أهل القرى أنفسهم لحمايتهم من غارات القبائل الأخرى ابان العهود السابقة . أما اليوم فقد أصبحت عبارة عن آثار تاريخية قيمة تجذب اهتمام علماء الآثار لدراستها .

الأسواق المتبقية

في كل يوم من أيام الأسبوع يقام في بلدة أو أكثر من بلدان المنطقة سوق عام يفد إليها



جامع أثري قديم في بلدة الباحة .